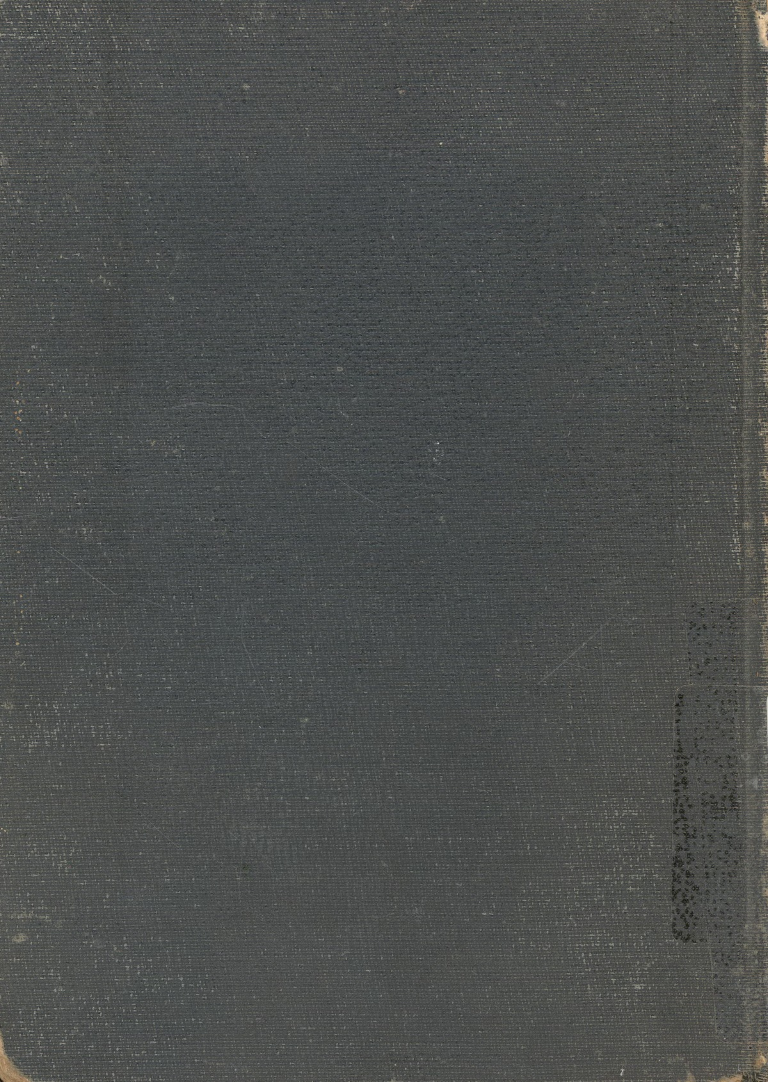


نور اليقين

في

سيرة سيد المرسلين

لمؤلفه

« محمد الخضري »

﴿ الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية ﴾

(والمدرس بمدرسة القضاء الشرعي)

« بمصر »

« طبعة خامسة سنة ١٣٢٨ »

« مطبعة الآداب والمؤيد بشارع محمد علي بمصر »



نحمدك يامن أوضحت لنا سبل الهداية . وأزحت عن بصائرنا غشاوة الغواية . ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيراً . وعلى الاصحاب الذين هجروا الاوطان . يبتغون من الله الفضل والرضوان . والانصار الذين آووا ونصروا . وبذلوا لاعزاز الدين ماجمعوا وما ادخروا (أما بعد) فيقول محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري كنت أجد من نفسي منذ النشأة الاولى ارتياحا لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجدها لعقل الانسان أحسن مهذّب وانصح معلم وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه حينما دعاهم الى الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه وبلاده أعظم مربّ لافكار المسلمين فانه يدلهم على مايجب

اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم وخصوصا ما يتعلق بالحكام من اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال وإحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على أعدائهم وما يتعلق بالعامة من اتحادقلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحا عظيما وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها فقلما أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعتني النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منهُ علما بدينه تقف دونه فحول الرجال وتتأخر عن مسابقته فيه الابطال. فقلما توضع مسألة دينية الا وجدته مبرّزاً فيها مفصحا عن الجواب عنها : أما علمه بسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيرا ما أسمعه يتشوّف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت بالله لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي ولكني

كنت أرى في عزيمتي قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته أعظم ولكن لم أر من الامر بداً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم أكثروا من الاماني لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقمت معتمداً على الله راجيا منه أن يوفقني لما فيه رضاه وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة . وقد كان موردي في تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواهُ الامامان البخاري ومسلم ولم أخرج عنهما الا فيما لا بدّ منه من تفهيم العبارات فكان يساعدني الشفاء للقاضي عياض والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني وإحياء علوم الدين للغزالي . هذا وأسأل الله من فيض فضله أن يوفق أئمتنا وأمراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله

وقد آن أن نشرع فيما قصدناهُ . مستعينين بحول الله .

فنقول

-○ﷺ(النسب الشريف)ﷺ○-

السيد الاكرم الذي شرف الناس بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (ابن عبد المطلب) من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (٢) القرشية وكان عبد المطلب شيخا معظما في قريش يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية (٣) الخزرجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية (٤) (ابن قصيّ) من زوجه حبيّ بنت حليل الخزاعية (٥) وكان الى قصيّ في

(١) من بني زهرة بن كلاب من قريش .

(٢) من بني مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٣) من بني النجار من الخزرج والخزرج احدى القبيلتين اللتين كانتا تقيان بالمدينة وهما الاوس والخزرج وهما اخوان وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ا صارا .

(٤) من بني سليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان بن مضر

(٥) من بني خزاعة بن عمرو احدى قبائل قمعة بن الياس بن مضر وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش

الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرّفادة والندوة وهي الشورى لا يتم أمر الا في بيته واللواء لا تعقد راية لحرب الا بيده ولما أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار ولكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الأمر الى القتال لولا أن تدارك الأمر عقلاء الفريقين فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم الى أن انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده . أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم الى الآن وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار .وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة. وقصيّ (بن كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة (ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (ابن كعب) من زوجه مَخْشِيَّة بنت شَيبان من بني فهر أيضاً (ابن لؤي) من زوجه أم كعب مارية بنت

كعب من قضاعة (ابن غالب) من زوجه أم لؤى عاتكة بنت مخلد
من بنى النضر بن كنانة (ابن فهر) من زوجه أم غالب ليلى
بنت الحارث من هذيل وفهر هو قريش فى قول الاكثرين
وكانت قريش اثنتي عشرة قبيلة بنو عبد مناف وبنو عبد الدار
ابن قصى وبنو أسد بن عبد العزّى بن قصىّ وبنو زهرة بن
كلاب وبنو مخزوم بن يقظة بن مرّة وبنو تيم بن مرّة وبنو عدىّ
ابن كعب وبنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب وبنو عامر
ابن لؤى وبنو تيم بن غالب وبنو الحارث بن فهر وبنو محارب
ابن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمّون قريش البطاح والذين
بضواحيها قريش الظواهر (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت
عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان من
قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجه برّة بنت مرّ من بنى
تميم (ابن خزيمة) من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان
(ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت أسلم من قضاعة (ابن الياس)
من زوجه خندف المضروب بها المثل فى الشرف والمنعة (ابن
مضر) من زوجه الرباب بنت جندة بن معد (ابن نزار) من

من زوجه سودة بنت عك (ابن معد) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (ابن عدنان)

هـذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر أنهم أجمعوا على أن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهى الى اسماعيل بن ابراهيم ابي العرب المستعربة . نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وامهات طاهرات لم يزل عليه السلام يتنقل من أصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء حتي اختاره الله هاديا مهديا من أوسط العرب نسبا فهو من صميم قريش التي لها القدم الاولى فى الشرف وعلو المكانة بين العرب ولا تجد فى سلسلة آبائه الا كراما ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأنا ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعيا بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شئ من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

-ە﴿ زواج عبد الله بآمنة وحملها ﴾ە-

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه اليه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثماني عشرة سنة وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسبا وموضعا ولما دخل عليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفى بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند أخواله بني عديّ بن النجار فانه كان ذهب بتجارة الى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث في أرجائه روح الآداب وعم مكارم الاخلاق وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان في صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من ابريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق السنة الاولى من حادثة الفيل (١) وكانت

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم هم وكل أمة فى التاريخ بالامور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها ان ملكا من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد

ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم وكانت قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعا قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ماقدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الانبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك انفاذا لأمره وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثويبة أمة عمه أبي لهب

الرضاع

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون ان المربي في المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بنى سعد

حمير أغار على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فاكراماً للنبي المنتظر وغيرة على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وأراح قريشا من عناء مقاومتهم اه

ابن بكر يطلبن اطفالا يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء. ودرّت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات (١)

حادثة شق الصدر

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليمة خوفا فردته الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بَهْم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه ٢ فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعا لونه ٣

(١) السيرة الحلبية (٢) يحركانه بسوط
(٣) شديها بالنقع وهو التراب

فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بنيّ فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو

﴿ وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب ﴾

ثم ان أمه أخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة أخوال أبيه بني عديّ بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالأبواء (١) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورقّ له رقة لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنا عظيما في المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب ان توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيما وعليه غيورا وكان أبو طالب مقلا من المال فبارك الله في قليله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة

(١) قرية بين مكة والمدينة وهي أقرب الى المدينة

كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا اقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما سييسره الله له

السفر الى الشام

ولما بلغ سنه عليه السلام اثنتي عشرة سنة اراد عمه وكفيله السفر بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقه فرق له وأخذه معه وهذه هى الرحلة الاولى ولم يمكثوا فيها الا قليلا وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بحيرا الراهب فسألهم عما رآه فى كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب فى هذا الزمن فقالوا انه لم يظهر للآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (٢)

---

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام و بلاد العرب

(٢) سورة البقرة

﴿ حرب الفجار ﴾

ولما بلغ سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار وهى حرب كانت بين كنانة ومعها قريش و بين قيس وسببها انه كان للنعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة (١) تجارة يرسلها كل عام الى سوق عكاظ (٢) لتباع له وكان يرسلها فى أمان رجل ذى منعة وشرف فى قومه ليجيزها فجلس يوماً وعنده البراض ابن قيس الكنانى وكان فاتكا خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروة ابن عتبة الرحال فقال من يجيز لى تجارتى هذه حتي يبلغها عكاظ فقال البراض أنا أجيزها على بنى كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على الناس كلهم فقال عروة أبيت اللعن (٣) أكلب خليع

(١) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس فتحها خالد بن الوليد فى السنة الثانية عشرة (راجع أتمام الوفاء)

(٢) سوق كانت تعقدها العرب كل عام لتعرض فيه تجارتها وما قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب وهي أشبه في ذلك بمعارض أوربا الآن

(٣) تحية عربية ومعناها باعدت كل مايستحق المذمة

يجيزها الك انا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد(١) وتهامة (٢) فقال البراض أو تجيزها على كنانة ياعروة قال وعلى الناس كلهم فأسرّها في نفسه وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم أرسل رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيسا قوم عروة وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت لتدرك ثأرها حتى أدركوا قريشا وكنانة بنخلة(٣) فاقتتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم ان قيسا قالوا لخصومهم انا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ بالعام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضا فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بنى هاشم الزبير

---

(١) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها

(٢) هوما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقى منها يسمى البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز فى الغرب واليمانة فى الشرق

(٣) موضع بين مكة والطائف

ابن عبد المطلب ومعه إخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفا وسنا وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوما من أشد أيام العرب هولا ولما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الأمور حتى ألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

حلف الفضول

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف

الفضول فتم في دار عبدالله بن جُدْعان التيمى أحـد رؤساء قريش وكان المتحالفون بنى هـاشم وبنى المطلب ابنى عبـد مناف وبنى أسد بن عبـدالعزى وبنى زهرة بن كلاب و بنى تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا أن لايجدوا بمكة مظـلوما من أهلهاأومن غيرهم من سائر الناس الاقاموا معه حتى ترد اليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه السلام مع أعمامه وقال بعدأن شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبدالله بن جـدعان ما أحب أن لى به حُمرَ النَّعَم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت) وذلك لانه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقدأقر دين الاسلام على كثيرمنها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لأُتمم مكارم الاخلاق) وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

رحلته إلى الشام المرّة الثانية

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام

المرة الثانية وذلك أن خديجة بنت خويلد الاسدية(١) كانت سيدة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه فلما سمعت عن السيد من الامانة وصدق الحديث مالم تعرفه فى غيره حتى سماه قومه الأمين استأجرته ليخرج فى مالها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحا ربحا عظيما وظهر للسيد الكريم فى هذه السفرة من البركات ماحببه فى قلب ميسرة غلام خديجة

زواجه خديجة

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرت من الامين عليه السلام وأرسلت اليه تخطبه لنفسها وكان سنها نحو الاربعين وهى من أوسط قريش حسباً وأوسعهم مالا فقام الامين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبى طالب فزوجها عمها وقد

(١) من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى

خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (١) معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا وان كان في المال قلّ فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا). وعلى ذلك تم الأمر . وقد كانت متزوّجة قبله بأبي هالة توفى عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام

بناء البيت

ولما بلغ سنه عليه السلام خمسا وثلاثين سنة جاء سيل جارف فصدّع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان اصابها قبل فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فانها

---

(١) أصل

كانت رضيمة (١) فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل الاصلاح قال ان الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا صحافا نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغيّ ولا بيع ربا وجعل الاشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمامه على قواعد اسماعيل فأخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة ولما تم البناء ثماني عشرة ذراعا بحيث زيد فيه عن أصله تسع أذرع ورفع الباب عن الارض بحيث لا

(١) بناء رضيم مبني بالصخر اه من أساس البلاغة

يصعد اليـه الا بدرج أرادوا وضع الحجر الاسود موضعـه
فاختلف أشرافهم فيمن يضعه وتنافسوا فى ذلك حتي كادت
تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هـذا الخصام أربع ليال
وكان أسـنّ رجـل فى قريش اذ ذاك أبو أميـة بن المغـيرة
المخزومى عم خالد بن الوليد فقال لهم ياقوم لاتختلفوا وحكموا
بينـكم من ترضون بحكمه فقالوا نكل الامر لاول داخل فكان
هـذا الداخل هو الامـين المأمون عليه الصلاة والسـلام
فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه من الامانة وصـدق الحديث
وقالوا هذا الامين رضيناه هذا محمد لانهم كانوا يتحاكمون اليه
اذ كان لايدارى ولايمارى فلما أخبروه الخبر بسط رداءه
وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيـه الحجر
وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضعه فيه
وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيرا مايكون أمثالها سببا
فى انتشار حروب هائلة بين العرب لولا أن يمن الله عليهم
بعاقل مثل أبى أمية يرشدهم الى الخير وحكيم مثل الرسول
صلى الله عليه وسلم يقضى بينهم بما يرضى جميعهم ولا يستغرب

من قريش تنافسهم هذا لان البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى فى سورة آل عمران (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وكان يلى أمره بعد ولد اسماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ووليته خزاعة حينا من الدهر ثم أخذته منهم قريش فى عهد قصيّ بن كلاب وبسببه أمنوا فى بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم واذا احتموا به كان حصناً أمينا من اعتداء العادين وامتن الله عليهم بذلك فى تنزيله فقال فى سورة القصص (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم)

معيشته عليه السلام قبل البعثة

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيما عائلا فاسترضع فى بنى سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه أن يعمل عملا

كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لاهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود الانبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لا بد منه لانهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الابدية ولذلك ترى جميع الشرائع الالهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وابراهيم وكانت حالهم في صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجا لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن.

وكذلك رعاية الغنم فما من نبي الا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري وهذه أيضا من بالغ الحكم فان الانسان اذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون

في أعدل الاحوال . ولما شبّ عليه السلام كان يتاجر وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضى الله عنها الى الشأم على جعل يأخذه . ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله له ما امتنّ عليه به في سورة الضحى بقوله جل ذكره (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلا فأغنى) فالايواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة هداه للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدرى ذلك قبل . قال تعالى في سورة الشورى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا)

سيرته في قومه قبل البعثة

كان عليه السلام أحسن قومه خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال حتى كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم

جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألدّ أعدائه النضر ابن الحارث من بنى عبدالدار حيث يقول قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذارأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر . قال ذلك فى معرض الاتفاق على مايقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه . ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلا هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله . ورد ذلك فى أول صحيح البخارى وقد حفظه الله فى صغره من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها (١) وبغضت اليه الاوثان بغضاً شديدا حتى ما كان يحضر لها احتفالا أو عيدا

(١) الشفاء للقاضي عياض

مما يقوم به عبادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت الىّ الاوثان وبغض الى الشعر ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ماأريد من ذلك ثم ماهممت بسوء بعدهما حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فاسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لايأكل ماذبح على النصب (١) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه فى قومه شيوعاً عظيما وذلك كله من الصفات التى يحلى الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقى وحيه.فهم معصومون من الادناس قبل النبوة وبعدها أماقبل النبوة فليتأهلوا للامر العظيم الذى سيسند اليهم وأما

(١) هي حجارة تنصب تصب عليها دماء الذبائح وتعبد ...

بعدها فايكونوا قدوة لاممهم . عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات

ما أكرمه الله به قبل النبوّة

أوّل منحـة من الله له ماحصـل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدِبين فلما صار بينهم صارت غنيماتهم تؤوب من مرعاها وإن أضراعها لتسيل لبنا ويرحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته

واذا سخر الاله أناسا لسعيد فانهـم سعداء

ثم اعقب ذلك ماحصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى فن استبعد ذلك كان قليـل النظر لايعرف من قوة الله شيئا لان خرق العادات للانبياء ليس بالامر المستحدث ولا المستغرب. ومن المكرمات الالهيه تسخير الغمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لايشترك معه أحد في القافلة كما

روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركا له في سفره وهذا ما حببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأنا ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايمانا به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ماعلمته من مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار (١) فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا سمع الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للانبياء قبله فعصى موسى التقمت ماصنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتى عشرة عينا لكل سبط من أسباط بني اسرائيل عين وكذلك غيره من الانبياء سخر الله

(١) السيرة الحلبية

لهم ما شاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

﴿ تبشير التوراة به ﴾

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذاك الزمن ونوّه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطابا لسيدنا موسي عليه السلام (١) « وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه فأما النبي الذي يجتريء على بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك انّ ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه » ويقول اليهود ان هذه

(١) الاصحاح الثامن سفر التثنية

البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح فانهم (١) أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحي) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا أنت النبي فقال لا فقالوا ما بالك اذاً تعمّد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبي فهذه تدل على أن التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبيٍ لم يأت حتى زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي أنه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم فى بنى اسرائيل نبي مثل موسى وورد فى هذه البشارة أن النبي الذي يفتري على الله يقتل ويشبه ذلك فى القرآن قوله تعالى فى سورة الحاقة (ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٢) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين أعدائه الألدّاء من مشركين ويهودٍ ثلاثاً وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطميناً لخاطره فى

(١) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا .

(٢) عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه .

سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) أكان يَعجز الله وهو القادر على كل شيء أن يعاقب من يَنسُب اليه مالم يقله وهو الذى قال فى سورة الشورى (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التى نعرف بها صدق النبي من كذبه وهى الاخبار بما سيأتى وقد أخبر النبي عليه السلام عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها ومنها مالا ينفع معه الحدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيغلبون بعد ان قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم فالاخبار اذاً بأن الروم سيردون مافُقد منهم بعد بضع سنين لايكون الا من عند الله ولذلك استغربه جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبابكر الصديقَ رضى الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديقُ الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى

وروى القاضى عياض فى الشفاء ان عطاء بن يسار سأل

عبدالله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ياأيها النبى اناأرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب(١) فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عمياً وآذانا صما وقلوبا غلفاً.

وروى مثله عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه وهو الذى كان رئيس اليهود فلم تمنعه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفى بعض طرق الحديث ولا صخب فى الاسواق ولاقوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمدَ اسمَه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة

(١) شديد الصوت

وأرفع به بعد الخماله وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متباينة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس . وقد أخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الامين عبدي أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمادون لله على كل حال

تبشير الانجيل

بشر عيسى عليه السلام قومه فى الانجيل بالفارقليط ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه فى القرآن قول الله تعالى فى سورة الصف (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا الفارقليط بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده

بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما ورد فى القرآن الكريم فى سورة النجم (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحيٌ يوحى) وقد ورد فى انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب (١) الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة.

﴿ حركة الافكار قبل البعثة ﴾

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمه من الاحبار والرهبان. قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب. عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما

(١) ترجم الى العربية وهو الآن مطبوع بمصر

كانوا يتوعدونتا به فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وارم لان من صفته عليه السلام فى كتبهم أن هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغى سيتمكنان من أفئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب فى الدنيا والآخرة . وكان أمية بن أبى الصلت المتنصر العربى كثيراً مايقول انى لأجد فى الكتب صفة نبي يبعث فى بلادنا . وحدث سلمان الفارسى رضى الله عنه عن نفسه أنه صحب قسيساً فكان يقول له ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . وهذا الحديث كان من أسباب اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذى ليس عنده علم من الكتاب أما جميع ملوك النصارى كالنجاشى ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد رداً لطيفاً وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه

السلام فى قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ماذاك الالانهم يعلمون أن المسيح عليه السلام بشر برسول يأتى من بعده ووافقت صفات رسولنا ماعندهم فأجابوا بالتى هى أحسن .
أما ماسمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالايدخل تحت حصر وليس بعدماذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالاعمال التى جاد الله بها على يديه والاقوال التى أتانا بها أعظم مقو لحجته ومؤيد لدعوته . وسيأتى عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوى

﴿ بدء الوحى ﴾

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو أربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان ذلك فى أول فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما أوضحه المرحوم محمود باشا الفلكى . وأول مابدئ به من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به عادة الله فى خلقه من التدريج فى الامور

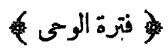
كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقى الوحى من الملك لاول مرة ثم حبب اليه عليه السلام الخلاء ليبتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان فى العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد فتارة عشراً وتارة أكثر الى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فبينما هو قائم فى بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ما أنا بقارئ فانه عليه السلام أمى لم يتعلم القراءة قبلا فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم)

(١) جبل على مقربة من مكة

فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألمّ به من الروع الذي استلزمته مقابلة الملك لأول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (١) زملوني لتزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الاوهام ولا مراء ان الله اختارك لهداية قومك ولتتأكد خديجة مما ظنته أرادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الاقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال يا ابن أخي ماترى فأخبره

(١) لفوني في ثوب

عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى لانه يعرف ان رسول الله الى أنبيائه هو جبرائيل ثم قال ياليتنى فيها جـذعا (شابا جلدا) اذ يخرجك قومك من بلادك التى نشأت بها لمعاداتهم اياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه السلام مانسب لقومه مع مايعلمه من حبهم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتى سموه الامين وقال أومخرجى هم قال لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى . وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى فى سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن فى ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم عليه السلام قال وان يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً (معضداً) ثم لم يلبث ورقة أن توفى



﴿ فترة الوحى ﴾

وفتر الوحى مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح أقوالهم

فيها أربعون يوما ليشتد شوق الرسول للوحى وقد كان فان الحال اشتدت به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمى نفسه منها حذراً من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى وهى اختياره لان يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدى له الملك قائلا أنت رسول الله حقاً فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر للوجود نور الدين فعاد اليه الوحى

﴿ عود الوحى ﴾

فبينما هو يمشي اذ سمع صوتا من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك الذى جاءه بحراء جالس بين السماء والارض فرعب منه لتذكر ما فعله فى المرة الاولى فرجع وقال دثرونى دثرونى فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولا تشرك معه فى ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين يدى الله اذ لا يليق بالمؤمن

أن يكون مستقذراً نجساً (والرُّجزَ فاهجر) أي اهجر أسبابه الرجز وهو العذاب بان تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر) ولا تهب أحداً هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبت فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى الله

﴿ الدعوة سراً ﴾

فقام عليه السلام بالامر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاة لا دين لهم الا أن يسجدوا لأصنام لا تنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا أنهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطا بالعزة والانفة وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الغارات والحروب واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونه فذوو العقول السليمة بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته. وكان أول من سطع عليه نور الاسلام

خديجة بنت خويلد زوجه وعلي بن أبي طالب ابن عمه وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لان قريشاً كانوا قد أصابهم مجاعة وكان أبو طالب مقلاً كثير الاولاد فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب أن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وأنا واحداً فانطلقا وعرضا عليه الأمر فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان فى كفالته كأحد أولاده الى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام فكان تابعاً للنبي فى كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع الهوى وأجاب أيضاً زيد بن حارثة ابن شُرَحبيل الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد ابن محمد لانه لما اشتراه أعتقه وتبناه وكان المتبنى معتبراً كابن حقيقي يرث ويورث وأجابه أيضاً أم ايمن حاضنته التى زوجها لمولاه زيد . وأول من أجابه من غير أهل بيته أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة

يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد عليه كذبا منذ
اصطحبا فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال
بابى أنت وأمى أهل الصدق أنت أشهد أن لا اله الا الله
وانك رسول الله . كان رضي الله عنه صدرا معظماً فى قريش
على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من أعف الناس سخياً
يبذل المال محبباً فى قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره
فى أموره كلها وقال فى حقه (مادعوت أحدا الى الاسلام الا
كانت له كبوة غير أبى بكر) وكانت الدعوة الى الاسلام سراً
حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم
فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا أبو بكر الى الاسلام
من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان بن
أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشي
ولما علم عمه الحكم باسلامه أوثقه كتافا وقال ترغب عن دين
آبائك الى دين مستحدث والله لا أحلك حتى تدع ما أنت
عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى

الحق تركه وكان شابا لا يتجاوز العشرين من عمره (ومنهم) الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى دين آبائه فقوّاه الله بالثبات وكان شابا لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرىّ القرشيّ وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد الرحمن (ومنهم) سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهرى القرشى ولما علمت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية باسلامه قالت له ياسعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف من الحرّ والبرد وان الطعام والشراب علىّ حرام حتي تكفر بمحمد وبقيت كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه أمر أمه فنزل فى ذلك تعليما قول الله تعالى فى سورة العنكبوت (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الىّ

مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره بوالديه وأمره
بالاحسان اليهما مؤمنين كانا أو كافرين أما اذا دعواه للاشراك
فالمعصية متحتمة لان كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الى مرجعكم من آمن منكم
ومن أشرك فاجازيكم حق جزائكم وفى ختام هذه الآية
فائدتان التنبيه على ان الجزاء الى الله فلا تحدث نفسك بجفوتهما
لاشراكهما والحض على الثبات فى الدين لئلا ينال شر جزاء
في الاخري (ومنهم) طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمى القرشي وقد كان عرف
من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع من
رسول الله مانفعه الله به ورأي الدين متيناً بعيداً عما عليه
العرب من المثالب بادر الى الاسلام (وممن) سبقوا الى الاسلام
صهيبٌ الرومى وكان من الموالى وعمار بن ياسرٍ العَنْسى وقد
قال رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه
ياسر وأمه سُمَيَّة (ومن) السابقين الاولين عبدالله بن مسعود

كان يرعى الغنم لبعض مشركي قريش فلما رأي الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضى الله عنه كثير الدخول على الرسول لا يحجب ويمشى أمامه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما فى ذراعيه

(ومن) السابقين الاولين أبو ذر الغفاري وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لأخيه اركب الى هذا الوادي فاعلم لى علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع الى أبي ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاما ماهو بالشعر فقال ماشفيتني مما أردت فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتي قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا أدركه الليل رآه على فعرف أنه غريب فأضافه عنده ولم يسأل أحد منهما صاحبه عن شيء (على قاعدة الضيافة

عند العرب لايسأل الضيف عن سبب قدومه الا بعد ثلاث).
فلما أصبح احتمل قربتــه وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم.
ولا يراه الرسول حتى أمسى فعاد الى مضجعه فمرّ به عليّ فقال.
أما آن للرجل أن يعرف منزله الذي أضيف به بالامس فأقامه.
فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا
كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له علي ألا تحدثني.
ما الذي أقدمك قال ان أعطيتني عهداً وميثاقا لترشدني فعلت.
ففعل فأخبره قال فانه حق وهو رسول الله فاذا أصبحت.
فاتبعني فانى ان رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق الماء.
فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلى ففعل فانطلق يتبع أثره
حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه.
فقال له النبي ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري قال.
والذي نفسى بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى.
المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول.
الله فقام القوم فضربوه حتي أضجعوه وأتى العباس فأكبّ عليه
وقال ويلكم أو لستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم

الى الشام عليه فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فأكب العباس عليه (رواه البخاري) كان رضى الله عنه من أصدق الناس قولا وأزهدهم فى الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي القرشى وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى القرشى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه أم سلمة وعثمان بن مظعون الجمحي القرشى وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومى القرشى (ومن) السابقين الاولين خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس الاموي القرشى . كان أبوه سيد قريش اذا اعتم لم يعتم قرشي اجلالا له وكان خالد قد رأى فى منامه أنه سيقع فى هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها فجاء اليه وقال الام تدعو يا محمد قال أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع

ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وأن لا تقتل ولدك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وأن لا تقتل نفساً حرّم الله قتلها الا بالحق وأن لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأن توفي الكيل والميزان بالقسط وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوي قرباك وأن توفي لمن عاهدت فأسلم رضى الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت. فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه في ضواحي مكة وأسلم بعده أخوه عمرو ابن سعيد . وهكذا دخل هؤلاء الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغّب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوي الثروة منهم ويتبعوا الرسول ليأكلوا من فضل ماله. بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه السلام كابي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالى اختاروا الاذى والجوع والمشقات

مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا سادتهم لكانوا فى هذه الدنيا أهدأ بالا وأنعم عيشة اللهم ليس ذلك الا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى

الجهر بالتبليغ

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة فى مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من أراد العبادة ذهب الى شعاب مكة يصلى مستخفياً . ولما دخل فى الدين ما يربو على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن أبى الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعوا سراً حتى نزل عليه قوله تعالى فى سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ممتثلا أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادي يا بني

فهر يابنى عدي لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر فجاء أبولهب بن عبد المطلب وقريشاً فقال عليه السلام أرأيتم لوأخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبولهب تباً لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله فى شأنه (تبت يدا أبى لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشى بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الا كاذيب فى نوادي النساء . ثم نزل عليه فى سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبدشمس أولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) أي العشيرة الاقربون (فقل انى بريء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ماغررتكم والله الذي لا اله الا هو انى

لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءاً وانها لجنة أبداً أو لنار أبداً فتكلم القوم كلاما ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصما لدوداً فانه قال خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب فان أسلمتوه اذاً ذللتم وان منعتموه قتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعه مابقينا ثم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤا به فى مجالسهم فكان إذا مر عليهم يقولون هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لايزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله ياقوم لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت فى رؤسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبى طالب سيد بنى هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم رداً جميلا فانصرفوا

عنه ومضى رسول الله لما يريده لا يصده عن مراده شيء فتزايد الأمر وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سناً وشرفا ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا فإنهم كانوا اذا احتجوا بالتقليد في استمرارهم على عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى فى سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وقال فى سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقال فى سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال فى سورة الزخرف فى بيان حجتهم الداحضة (بل قالوا

انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ولما شابههم
بمن قبلهم من الامم فى هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد.
قال (قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا
بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر
ذلك الى وصف آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك
أضغانهم وقالوا لأبي طالب اما أن تكفه أو ننازله واياك فى
ذلك حتي يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على أبى طالب
فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه فقال له يا ابن
أخي ان القوم جاؤنى فقالوا لى كذا فأبق على نفسك ولا تحملنى
من الامر مالا أطيق فظن الرسول ان عمه خاذله فقال والله
ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن
أترك هذا الامر مافعلت حتي يظهره الله أو أهلك دونه ثم
بكى وولى فقال أبو طالب أقبل يا ابن أخى فأقبل عليه فقال
اذهب فقل ماأحببت والله لا أسلمك .

الايذاء

ورأى رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم

الشدة خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من
أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين
(فأولهم) وأشدهم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة
المخزومي القرشي قال يوما يا معشر قريش ان محمداً قد أبى ما
ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب
آبائكم اني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر لا أطيق حمله
فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك
أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما
أصبح أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا
عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقريش في أنديتهم
ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد عليه السلام احتمل أبو
جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعاً
لونه من الفزع ورمى حجره من يده فقام اليه رجال من قريش
فقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لأفعل ما قلت لكم
فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل والله ما رأيت مثله
قط همّ بي أن يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل

ولو دنا لأخذه وكان أبو جهل كثيراً ما ينهى الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد أن رآه يصلي ألم أنهك عن هذا فأغلظ له رسول الله القول وهدده فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فأنزل الله تهديداً له في آخر سورة اقرأ (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) ومن أذيته للرسول ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى فرث جزور بني فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام عقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فاخذت القذر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملأ من قريش وسمى أقواما قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر. ومما

حصل لرسول الله مع أبى جهل ان هذا ابتاع اجمالا من رجل يقال له الأراشى فمطله بأثمانها فجاء الرجل بمجمع قريش يريد منهم مساعدة على أخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبى جهل استهزاء لما يعلمونه من أفعال ذلك الشقى بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على أبى جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج منتقعاً لونه فقال له الرسول أعط هذا حقه فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى أخذ دينه فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت قال ويلكم والله ما هو الا أن ضرب على بابى حتى سمعت صوتاً ملئت منه رعباً وان فوق رأسى فحلا من الابل ما رأيت مثله (ومن جماعة المستهزئين) أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان أشد عليه من الاباعد فكان يرمى القذر على بابه لانه كان جارا له فكان الرسول يطرحه ويقول يا بنى عبد مناف أيُّ جوار هذا وكانت تشاركه فى قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب ابن أمية فكانت كثيراً ما تسب رسول الله وتتكلم فيه بالنمائم

وخصوصا بعد ان نزل فيها وفي زوجها سورة أبى لهب (ومن) المستهزئين عقبة بن أبى معيط كان الجار الثانى لرسول الله وكان يعمل معه كأبى لهب صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبىّ بن خلف الجمحي القرشى وكان صديقا له فقال ماشىء بلغنى عنك قال لاشىء دخل منزلى رجل شريف فأبى أن يأكل طعامى حتى أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يَطعم فشهدت له قال أبىّ وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) ومن أشد ماصنعه ذلك الشقى برسول الله مارواه البخارى فى صحيحه قال بينما النبي يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله فخنقه

خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقدجاءكم بالبينات من ربكم» (ومن) جماعة المستهزئين العاصي ابن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص كان شديد العداوة لرسول الله وكان يقول غرّ محمد أصحابه أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر فقال الله رداً عليه في دعواه في سورة الجاثية (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الاَّ يظنون) وكان عليه دين لخباب بن الأرت أحد رجال المسلمين فتقاضاه اياه فقال العاصي أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه ان فى الجنة ما يبتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خبابٌ بلى قال فأنظرني الى هذا اليوم فسأوتى مالا وولداً وأقضيك دينك فأنزل الله فيه في سورة مريم «أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينَّ مالا وولداً اطلع الغيبَ أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً» (ومن) جماعة المستهزئين

الاسود بن عبد يغوث الزهري القرشى من بنى زهرة أخوال رسول الله كان اذا رأى أصحاب النبي مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية أما كلمت اليوم من السماء (ومنهم) الاسود بن المطلب الاسدي ابن عم خديجة كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل في سورة التطفيف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنهم) الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فتوجه وقعد اليه

حزيناً وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر قليلا ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فارتج النادي فرحا فأنزل الله في شأن الوليد في سورة المدثر مخاطباً لرسوله (ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا انه فكر وقدّر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدّر . ثم نظر ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر. فقال ان هذا الا سحر يؤثر. ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر) وأنزل فيه أيضاً في سورة ن (ولا تطع كل حلاّف) كثير الحلف وكفى بهذا زاجرا لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير وأراد به الكذاب لانه حقير في نفسه (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس

(مناع للخير معتد أثيم . عتلّ) غليظ جاف (بعد ذلك زنيم) دخيل (أن كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين . سنسمه على الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه أكرم عضو والانف أشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظمة كالانفة وهي الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر ابن الحارث العبدري من بني عبد الدار بن قصيّ كان اذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم قال النضر هلموا يامعشر قريش فاني أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد الا أساطير الاولين وفيه نزل في سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهوَ الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزُوا أولئك لهم عذاب مهين . واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى فى التنزيل في سورة الحجر (انا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله الها

آخر فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد فى صورة الماضى لتحقق من وقوعه لان الآية مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كأبى جهل والنضر ابن الحارث وعقبة بن أبى معيط ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها كأبي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة

اسلام حمزة

وكان بعض ايذائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب فقد أدركته الحمية عندما عيرته بعض الجوارى بايذاء أبى جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقى وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا على دينه ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس اسلاما وأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتي سمى أسد الله

وكما أوذى الرسول عليه الصلاة والسلام أوذى أصحابه

لاتباعهم له وخصوصا من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هـذا الاذي كان حلوا فى أعينهم مادام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره فى سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما أراد (ومن) الذين أوذوا فى الله بلال بن رباح كان مملوكا لأمية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجعل فى عنقه حبلا ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحد أحد لم يشغله ماهو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به فى وقت الظهيرة في الرمضاء (وهى الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت) ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد . مر به أبو بكر يوما فقال يا أمية أما تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى . فاشتراه منه

وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فأنذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الاشقى) أمية بن خلف (الذي كذب وتولى . وسيجنبها الاتقى) الصديق (الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الاخرى جزاء أعماله . وقد نبه الله جل ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن الا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفا وفضلا للصديق رضى الله عنه وأرضاه وقد أعتق غير بلال جماعة من الارقاء أسلموا فعاقبهم مواليهم (ومنهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة كان يعذب حتى لايدري مايقول وأبوفكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف (ومنهم) امرأة تسمي زُنيرةَ عذبت في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك الا ايمانا وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتي به محمد خيراً ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد فأنزل الله في سورة الأحقاف (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك

قديم) (وممن) أعتق أبو بكر بعد شرائه أم عنيس كانت أمة لبني زهرة وكان يعذبها الاسود بن عبد يغوث (وممن) عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله وأما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه اياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملىء ايمانا من فرقه الى قدمه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (وممن) أوذي في الله خباب بن الارت سبي في الجاهلية فاشترته أم انمار وكان حداداً وكان النبي يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها أسلم خباب فكانت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا

يزيده ذلك الا ايمانا وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده فى ظل الكعبة فقال يارسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد عليه السلام محمراً وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو فى هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها أعقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا أن ذلك وحي يوحى اليه ثم أنزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (وممن) أوذي في الله أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغماد

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر وقيل موضع في

فلقيه ابن الدُّغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال الى
أين ياأبا بكر فقال أخرجنى قومي فأريد أن أسيح في الارض
وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مثلك ياأبا بكر لا يُخرج انك
تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك
فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف في أشراف قريش فقال
لهم أبو بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم
ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب
الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر أبا بكر
فليعبد ربه فى داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا
يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا
فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فلبث بذلك يعبد ربه في داره
ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لابى بكر
فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف
عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه

أقصى أراضي هجر اهـ من ياقوت

وكان رجلاً بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل وان أبى الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك سبباً لايصال أذى عظيم الى أبى بكر رضى الله عنه. وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدى تلقاء ثباتهم وعظيم ايمانهم فانهم لم يسلموا الغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل ارجاعهم ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء دونه سهلا

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الاذى لم يجدهم نفعاً بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة العبشمي من بني عبدشمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً في قومه يامعشر قريش ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا عله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا فقالوا ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلي في المسجد وقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل ياأبا الوليد اسمع فقال يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب

و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي فقال عليه السلام لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما الهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن

سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألاَّ تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال هذا رأيي (ثم) عرضوا عليه بعد ذلك أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركونه في عبادته فأنزل الله في ذلك (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين) فلا تتوهموا أني أجيبكم لطلبكم من الاشراك

بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتى بقرآن غيره أو يبدّله فأنزل الله جوابا لهم فى سورة يونس (قل ما يكون لى أن أبدلهُ من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الىّ) . وقد حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضئ به وهى انه بينما الرسول عليه السلام مع كبراء قريش وأشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين اذ أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الاعمى وهو ممن أسلموا قديما والنبي مشتغل بالقوم وقد لقى منهم مؤانسة حتى طمع فى اسلامهم فقال له عبد الله يارسول الله علمنى مما علمك الله وأكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه السلام أن يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله أول سورة عبس (عبس وتولى أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدّي . وما عليك ألا يزكى

وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى) فما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها فى وجه فقير وكان اذا أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم يقول له مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التى يعرضونها لاتقبل منهم أرادوا أن يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا يامحمدان كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك وهي أن تشق لنا القمر فرقتين فأعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقال رسول الله اشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتي صار الحديث كالمتواتر وقد ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى أول سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم ابن أبى كبشة. فأنزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألوا الرسول

بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعنت والعناد فمنها ان قالوا كما فى سورة الاسراء (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً .أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) ولم يجبهم الله الا بقوله (قل سبحان ربى هل كنت الا بشراً رسولا) لان الله علم ما تكنه جوانحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جل ذكره فى سورة الانعام (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف يرجى الخير ممن قالوا كما فى سورة الانفال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من سنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عناداً وانهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد

من قوله تعالى فى سورة الاسراء (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام أنه لما وقف أمام هيردوس طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه ورده الى عدوه بيلاطس بعد أن كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحوّلوا الى سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عندما عجزوا عنه حيث (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) كما فى سورة الانبياء أما هؤلاء فازدادوا بالاذى على كل من أسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا بابا الا ولجوه فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا فى الارض فان الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فأشار الى الحبشة

هجرة الحبشة الاولى

فعنـد ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهـم فراراً بدينهم كما أشار عليه السلام وهـذه هي أول هجرة من

مكة وعـدة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وأبو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم وزوجه أم كلثوم وعامر ابن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل وعبـد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ومصعب بن عمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من قريش وكان عليهم فيما روى ابن هشام عثمان بن مظعون فساروا على بركة الله ولما انتهوا الى البحر اسـتأجروا سفينة أوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام الا القليل .

اسلام عمر

وفى ذلك الوقت أسـلم الشهم الهمام عمر بن الخطـاب العدوي القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم . قالت ليلى احدى المهاجرت لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى اسلامنا فلما ركبت

جيبري أريد أن أتوجه الى ارض الحبشة اذا انابه فقال لى الى اين
يا أم عبد الله فقالت قد آذيتمونا فى دينا نذهب فى أرض الله
حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله فلما جاء زوجي عامر اخبرته
عما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لا يسلم حتى
يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على
المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه
وسلم فانه قال قبيل اسلامه اللهم أعز الاسلام بعمر وكان
اسلامه فى دار الارقم بن أبي الارقم التى كان المسلمون يجتمعون
فيها وقد حقق الله باسلامه مارجاه عليه السلام فقد قال عبد
الله بن مسعود من رواية البخارى (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر)
فانه طلب من رسول الله ان يعلن صلاته في المسجد ففعل
وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم وكانوا قد
أرادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول داره ينتظرونه فجاء
العاص بن وائل السهمى وهو من بنى سهم حلفاء بنى عدي
قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال لعمر
ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلوننى أن أسلمت قال لا

سبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمر وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد هـذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل اليـه فرجع النـاس من حيث أتوا

رجوع مهاجري الحبشة

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة حيث لا تتيسر لهم الاقامة فيها لانهم قليلو العـدد وفي الـكثرة بعض الانس واضف الى ذلك أنهـم أشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهـم عيش فى دار غربة بهذه الحالة

وقد أولع بعض المؤرخـين بحكاية يجعـلونها سبباً فى رجوع مهاجري الحبشة وهي أنه بلغهم اسـلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاما حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق (جمع غرنوق وهي الطيور ويراد

بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجدوا اعظاما لذلك وفرحا وهذا مما لا تجوز روايته الا على قليلى الادراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين من صحته وها نحن نسوق لك أدلة النقل والعقل على بطلان ما ذكر . أما الحديث فسنده ومتنه قلقان فالسند قال فيه القاضي عياض فى الشفاء لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم وأما المتن فليس أصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحا أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف بهذه وليس ذلك القيل أقل من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ماقالوا حتى سماهم الله سفهاء وأنزل فيهم فى سورة البقرة (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) ولكن لم يسمع عن أي واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك

ذممت آلهتنا بعـد أن مدحتها وكان ذلك أولى لهم من تجريد
السيوف وبذل مهج الرجال على أن المؤرخين الذين ينقلون
هذه العبارة ويجعلونها سبباً لرجوع مهاجري الحبشة يقولون
أثناء كلامهم ان الهجرة كانت فى رجب والرجوع كان فى شوال
ونزول سورة النجم كان فى رمضان فالمدة بين نزول السورة
ورجوع المهاجرين شهر واحـد والمتأمل أدنى تأمـل يرى
أن الشـهر كان لا يكفي فى ذلك الزمن للذهاب من مكة الى
الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذ ذاك مراكب بخارية
تسهل السير فى البحر ولا تلغراف يوصل خبر اسلام قريش
لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك أن قلنا أن هذه الخرافة من
موضوعات أهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن
الحمد لله فقد منّ علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين
كل مفتر كذاب ففي السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى)
والذي يلقيه الشيطان من أقبح ما يروى فكيف يقوله عليـه
السلام أو يجري على لسانه مما يثبت الشكوك فى الوحى الامر
الذي يريده السـفهاء رد الله كيدهم فى نحرهم . والذي ورد

في الصحيح في موضوع هـذا السجود ما رواه عبـد الله بن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه الا رجـلا أخذ كفاً من حصى وضـعه على جبهته وقال يكفيني هـذا فرأيته قتل بعـد كافراً وليس في هذا الحديث أدنى دلالة على أن الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذي يفيده قوله فرأيته قتل بعد كافراً أنه كان مسلما ثم رأيته ارتد وهذا ما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الاذى فكفروا منهم علي بن أمية بن خلف. (هذا) ولما رجع مهاجرو الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجـد له مجيراً فدخل أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب ودخل عثمان ابن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقد رد عليـه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين فلم ير أن يكون مرتاحا واخوانه يعذبون

كتابة الصحيفة

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف

الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فأبوا عليهم ذلك ثم عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدى عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ماعدا أبا لهب فانه كان مع قريش وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب

هجرة الحبشة الثانية

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين

أن يهاجروا للحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاغتراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وتوجه لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون أبو موسى وبنو عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا من النجاشي الا اهانة لما خاطبوه به من اخفار ذمته في قوم لاذوا به اما بنو هاشم فمكثوا في الشعب قريبا من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام الا خفية

نقض الصحيفة

وقد قام خمسة من أشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو

أعظمهم فى ذلك بلاء وزهير بن أبى أمية المخزومى ابن عمة الرسول عاتكة والمطعم بن عدى النوفلى وأبو البخترى بن هشام الاسدى وزمعة بن الاسود الاسدى واتفقوا على ذلك ليلا فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لابى جهل أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البخترى صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك وصدق على ما قيل هشام ابن عمرو فقام اليها المطعم بن عدى فشقها وكانت الارضة قد أكلتها فلم يبق فيها الا مافيه اسم الله وقد أخبر النبى عليه السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ماذكر فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة

وفود نجران

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من

نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ماذكر منها فى كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريبا من ذلك فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل ما رأينا ركبا أحمق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام عليكم لانجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا مااخترناه فانزل الله فى ذلك فى سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طوراً وبالكهانة تارة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لا يستحي لمزيد عناده أن يقول (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)

وفاة خديجة رضى الله عنها

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضى الله عنها كان عليه السلام كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهي أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم ماعدا ابراهيم فمنها زينب وهي أكبر بناته تزوجها في الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان الاولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها الى الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت أختها ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوجها علي بن أبى طالب وقد جاءت خديجة بأولاد توفوا صغاراً ولم يعش بعد رسول الله من أولاده الا فاطمة عاشت بعده قليلا ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة

لرسول الله ومحاجزة الكفار عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بني زهرة ومنها القاسم وكان به يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر

زواج سودة

وعقد عليه السلام فى الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفى عنها زوجها وابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبنى عمها وهاجرت مع زوجها الى الحبشة فى المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته توفى عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزوج رجل آمن به ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتنوها وكرم نسبها فى قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفا

زواج عائشة رضي الله عنها

وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه أبى بكر

وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة أما سودة فدخل عليها بمكة

وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفى عمه أبو طالب الذي كان يمنعه من أذى أعدائه ومع أنه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة القصص (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) ولكن لأعماله العظيمة التي عملها مع رسول الله نرجو أن يخفف عنه وعدم اسلامه بل هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة ما لا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسا لهم فجاؤا بهذا الامر المفترى ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من أعدائها أحياناً كعثمان بن عفان من بني أمية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم الا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة من قولهم ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن

بالغيب وقد سمى رسول الله هذا العام الذي فقد فيـه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها نيله فى حياة أبي طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه فى صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبونه ويقولون له أنت الذي تريد أن تجعـل الآلهة الهـا واحداً فما تقدم أحـد من المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليـه من الضعف الا أبو بكر فانه تقـدم وقال أتقتلون رجـلا ان يقول ربي الله

هجرة الطائف

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه الى ثقيف بالطائف (١) يرجو منهم نصرته على قومه ومساعدته حتى يتمم أمر ربه لانهم أقرب الناس الى مكة وله فيهم خؤولة فان أم هاشم بن عبـد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن

(١) بلد فى الجنوب الشرقى من مكة

منصور وهم حلفاء ثقيف فلما توجه اليهم ومعهُ مولاه زيد ابن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردوا عليه ردا قبيحا ولم ير منهم خيرا وحينذاك طلب منهم أن لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لانه استعان عليهم بأعدائهم فلم تفعل ثقيف مارجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا اسفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونهُ بالحجارة حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما من أعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلا (اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى) فلما رآه ابنا ربيعة رقا له وأرسلا اليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصرانى اسمهُ عدّاس فلما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قال (بسم الله الرحمن الرحيم)

فقال عدّاس هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من أى البلاد أنت وما دينك فقال نصرانى من نينوى (١) فقال عليه السلام قرية الرجل الصالح يونس بن متىّ قال وما عامك بيونس فقرأ له من القرآن ما فيه قصة يونس فلما سمع ذلك عدّاس أسلم . وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره وقال ان الله أمرني أن أطيعك فى قومك لما صنعوه معك فقال عليه السلام اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم. ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وابلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل فى سورة الاحقاف (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضيَ ولوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزلَ من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى

---

(١) بلد على شاطيء دجلة وهي آخر ماينتهي اليه العرق وامامها مدينة الموصل

طريق مستقيم. يا قومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعيَ الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها (قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشركَ بربنا أحداً)

﴿ الاحتماء بالمطعم بن عدي ﴾

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة لما علمه كفار قريش من أنه توجه الى الطائف يستنصر بأهليها عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف يخبره أنه سيدخل مكة في جواره فأجاب الى ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين أمجير أنت أم تابع فقال بل مجير قالوا اذاً لا تخفر ذمتك

﴿ وفد دوس ﴾

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسى من قبيلة دوس عشيرة أبى هريرة الصحابي الشهير وكان الطفيل شريفاً فى قومه شاعراً نبيلا فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعا لهم رسول الله فقال اللهم اهد دوسا فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم وستأتى وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه فى المدينة

﴿ الاسراء والمعراج ﴾

وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج أما الاسراء فهو توجيهه ليلا الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته وأما المعراج فهو صعوده الى العالم العلوي وقد قال جمهور أهل السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف وكانت عائشة رضى الله عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله والاسراء مذكور فى القرآن الكريم قال تعالى ﴿ ﴾ أسرى

سورة الاسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة وأصح أحاديثه مارواه الشيخان ونقله القاضي عياض في شفائه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بي

ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير قال تعالى فى سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذاهو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الىّ ما أوحى ففرض علىّ وعلى أمتي خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت

بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربى وقلت يا ربي خفف عن أمتى فحط عني خمساً فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمساً قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه . ثم رجع عليه السلام من ليلته فلما أصبح غدا الى نادي قريش فجاء اليه أبو جهل بن هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال أبو جهل يا بني كعب ابن لؤي هلموا . فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسعى رجال

الى أبي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقاً ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه أما رسول الله فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم بابا بابا وموضعاً موضعاً فقالوا أما النعت فقد أصاب فأخبرنا عن عيرنا وكانت لهم عير قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يزدهم ذلك الا كفراً وعناداً حتى قالوا هذا سحر مبين. وفى صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها فيصلى ركعتين اذا ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل الشيء وثلاثا اذا غربت وأربعاً اذا غاب الشفق الاحمر وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلى ركعتين

صباحا ومثلهما مساء كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام

﴿ العرض على القبائل ﴾

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجد من قريش منعه من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله أن يظهر أمر الدين على أيدي غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية (وهي أسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدي رسالة ربه فكان بعضهم يرد ردا جميلا وآخرون ردا قبيحا وكان من أقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به أن يجعل لهم أمر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان احداهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرج وهما اخوان وكان بين أولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع أوزارها بين الفريقين فكانوا دائما في شقاق ونزاع

وكان يجاورهم فى المدينة قوم من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب أولا فجاربهم العرب حتى صاروا ذوي النفوذ فيها والقوة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على أعدائهم باسم نبي يبعث قد قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفة حالفوا اليهود على أنفسهم فحالف الاوس بنى قريظة وحالف الخزرج بنى النضير وبني قينقاع وآخر الايام بينهم يوم بعاث قتل فيه غالب رؤسائهم ولم يبق الا عبد الله بن أبى بن سلول من الخزرج وأبو عامر الراهب من الاوس ولذلك كانت عائشة تقول كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطر ببال رؤساء الأوس أن يحالفوا قريشا على الخزرج فأرسلوا اياس بن معاذ وأبا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف فى قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم فى خير مما جئتم له أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا وقد أرسلنى الله الى الكافة ثم تلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ ياقوم هذا والله خير مما جئنا له فحصبه أبو الحيسر

وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت

﴿ بدء إسلام الأنصار ﴾

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لنفر منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث من بنى النجار ورافع بن مالك من بنى زريق وقطبة ابن عامر من بني سلمة وعقبة بن عامر من بنى حرام وجابر ابن عبد الله من بنى عبيد بن عدى ودعاهم الى الاسلام والى معاونته فى تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض أنهُ للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يَسبِقُنَكم اليه فآمنوا به وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزُّ منك ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب

﴿ العقبة الاولى ﴾

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلا منهم عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ

ابنا الحارث ورافع بن مالك وذكوان بن قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة ابن عامر وهؤلاء من الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة وهما من الأوس فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف فان وفوا فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب وهذه هي العقبة الاولى فارسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير العبدرى وعبد الله ابن أم مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرئانهم القرآن ويفقهانهم في الدين ونزل مصعب على أحد المبايعين أبي امامة أسعد بن زرارة وصار يدعو بقية الاوس والخزرج للاسلام وبينما هو فى بستان مع أسعد بن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الاوس لأسيد بن حضير ابن عم سعد ألا تقوم الى هذين الرجلين اللذين

أتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما فقام لهما أسيد بحربته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بأنفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الى سعد فسأله عما فعل فقال والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وقام لهما متغيظا ففعل معه مصعب كسابقه فهداه الله للاسلام ورجع لرجال بني عبد الاشهل وهم بطن من الاوس فقال لهم ماتعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الاشهل الا أجابه وقد انتشر الاسلام فى دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسلام

﴿ العقبة الثانية ﴾

ولما كان وقت الحج فى العام الذي يلي البيعة الاولى قدم

مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقابلة ليلا عند العقبة فأمرهم أن لا ينبهوا في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لان كل هذه الاعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعوا فى نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله في أول أمره . ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضى ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين. حتى تم عددهم ثلاثا وسبعين رجلا منهم اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الاوس ومعهم امرأتان وهما نسيبة بنت كعب من بنى النجار وأسماء بنت عمرو من بني سلمة ووافقهم رسول الله هناك وليس معه الا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بان ابن أخيه لم يزل فى منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم

ان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك والا فدعوه بين عشيرته فانهم لبمكان عظيم فقال كبيرهم والمتكلم عنهم البراء بن معرور والله لو كان لنا فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهوداً وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أي ان طالبتم بدم طالبت به وان أهدرتموه أهدرته

وحينذاك ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ما طلب وأول من بايع أسعد بن زرارة وقيل البراء بن معرور ثم تخير منهم اثنى عشر نقيباً لكل عشيرة منهم واحد

تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وهم أبو الهيثم بن التيهان وأسعد بن زرارة . وأسيد بن حضير . والبراء بن معرور . ورافع بن مالك . وسعد بن أبي خيثمة . وسعد بن الربيع . وسعد بن عبادة . وعبد الله بن رواحة . وعبد الله بن عمرو . وعبادة بن الصامت . والمنذر بن عمرو . ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسي ابن مريم وأنا كفيل على قومى . ولأمر ما أراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجاؤا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا فأنكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل منهم شئ فى ليلتهم وعبد الله بن أبيّ كبير الخزرج يقول ما كان قومى ليفتاتوا عليّ بشئ من ذلك

﴿ هجرة المسلمين الى المدينة ﴾

ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الاولى أما رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه

فازداد عليهم أذى المشركين لما سمعوا أنه حالف قوما عليهم فأمر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش أن تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة المخزومى زوج أم سلمة ومعه زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعبؤن بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم ما دام فى ذلك رضى الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم الا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر استعداداً لذلك

﴿ دار الندوة ﴾

أما قريش فكانوا كأنهم أصيبوا بمس الشيطان حينما طرق

مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم فى دار النـدوة وهي دار قصيّ بن كلاب التى كانت قريش لا تقضي أمراً الا فيهـا يتشاورون ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسـلم حين خافوه فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كي نستريح منه فرفض هذا الرأي لأنهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقـه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبـله من الموت فرفض هـذا الرأي كسابقه لانهم قالوا ان الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخـل فى دينه حيث يفضـلونه على الآباء والابناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربمـا جر هذا من الحرب علينا ما نحن فى غنى عنـه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بنى أبيه من الاخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة شابا جلداً يجتمعون أمام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجـل واحـد. فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقـدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا على هـذا الرأي . هذا

مكرهم ولكن أرادة الله فوق كل ارادة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فأعلم نبيه بما دبره الاعداء فى سرهم وأمره باللحاق بدار هجرته بدار فيها ينشر الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون ان قريشاً أرادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أن يدعي هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنيل مآربهم ولكنهم كانوا له أعداء ألداء آذوه شديد الاذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم

﴿ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴾

فتوجه من ساعته الى صديقه أبي بكر وأعلمه أن الله قد أذن له فى الهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحلتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فجهزاهما أحسن الجهاز وصنعت لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب واستأجرا عبد الله بن

أرقط من بن الديل بن بكر وكان هاديا ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر وواعده المقابلة ليلا خارج مكة وكانت هذه الليلة هى ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه علياً بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك فى وجوده أثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فألقى الله النوم عليهم حتي لم يره أحد ولم يزل عليه السلام سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه . أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنهم أنما باتوا يحرسون عليّ بن أبى طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتى بمحمد أو يدلّ عليه وقد وصلوا فى طلبهم الى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم

بحيث لو نظر أحـدهم تحت قدميـه لنظرهما حتى أبكى ذلك
أبا بكر فقال له عليـه السلام (لا تحزن ان الله معنا) فأعمى
الله أبصار المشركين حتى لم يحن لأحـد منهم التفاتة الى ذلك
الغار بل صار أعدى الاعداء أميـة بن خلف يبعد لهم اختفاء
المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع
الطلب وكان يبيت عندهما عبـد الله بن أبي بكر وهو شاب
ثقف لقن فيـدلج من عِنـدهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة
كبائت بها فلا يسمع أمراً يكتادان به الا وعاه حتى يأتيهما
بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما
بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويغـدو
بها عليهما فاذا خرج من عنـدهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم
كيلا يظهر لقدميه أثر . ولما انقطع الطلب خرجا بعد أن
جاءهما الدليـل بالراحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق
الساحل . وفى الطريق لحقهم طالبا سراقة بن مالك المُدْلجي
وكان قد رأى رسـل مشركي قريش يجعـلون فى رسول الله
وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو فى

مجلس من مجالس قومه بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام
عليهم وهم جلوس فقال ياسراقة اني رأيت آنفا أسودة بالساحل
أراها محمداً وأصحابه فعرف سراقة أنهم هم ولكنه أراد أن
يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا
بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم ابث في المجلس ساعة وقام وركب
فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه فعثرت به فرسه
فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى
وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قائمتا فرس
سراقة في الارض حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها
حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ساطع
في السماء مثل الدخان فعلم سراقة أن عمله ضائع سدى وداخله
رعب عظيم فناداهما بالامان فوقف عليه السلام ومن معه حتى
جاءهم ويقول سراقة وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر
أمر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم
بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذا منه
شيئاً بل قالا له أخف عنا فسأله سراقة أن يكتب له كتاب

أمن فامر أبا بكر فكتب وبذلك انقضت هـذه المشكلة التي أظهر الله فيها مزيد عنايته برسوله وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون الى الحرّة (١) حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد أن أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم (٢) من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله وأصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى فقال اليهودى بأعلى صوته يا معشر العرب هـذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة

﴿ النزول بقباء ﴾

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بني عمرو بن عوف بقباء والذي حققه المرحوم محمود باشا الفلكي ان ذلك كان فى اليوم الثاني من ربيع الاول الذي يوافق ٢٠ سبتمبر

(١) هي الارض ذات الحجارة السود وكانت المدينـة محاطة بجملة حرات (٢) تل

سنة ٦٢٢ وهذا أول تاريخ جديد (١) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركي قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلا يتخطفهم الناس

﴿ هجرة الانبياء ﴾

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة اخوانه من الانبياء من قبله فما من نبي منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبي الانبياء وخليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثالا لمن يأتي بعدهم من متبعيهم فى الثبات والصبر على المكاره ما دام ذلك فى طاعة

(١) لما أراد المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا ميدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين مبدأ الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين وأياما وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها .

الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه أنهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون اكراما ليوسف وحكمته. ولما مضت سنون نسى فيها المصريون تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بنى اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسي وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه فى عبادته. وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلاميذه (طوبي للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لان أجركم عظيم فى السموات فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسل القرى التي حلت بها نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبئك عن مهاجرة الانبياء منها قبل حلول النقمة فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه أهلها من تتميم ما أراده الله (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ أعمال مكة ﴾

هذا وانتبين لك مجمل مادعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من أصول الدين وذلك أمران (الاول) الاعتقاد بوحدانية الله وأن لا يشرك معه فى العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أو ابا أو زوجة أو بنتا كما عليه بعض الطوائف الاخرى كالنصارى ولولا الاعتقاد بوحدانية الله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس (الثانى) الاعتقاد بالبعث والنشور وان هناك يوما ثانياً للانسان يجازى فيه على ما صنعه فى الدنيا ان خيراً فخير وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآي المكية فقلما ترى سورة من سور مكة الا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدى ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من القرآن معظمه وهو ما عدا اثنتين وعشرين سورة

منـه وهى البقرة . آل عمران . النساء . المائدة . الانفال . التوبة الحج . المؤمنون . الاحزاب . القتـال . الفتح . الحجرات . الحـديد . المجادله . الحشر . الممتحنة . الصف . الجمعـة . المنافقون . التغابن . الطلاق . التحريم . هـذه كلها مدنية وباقي القرآن مكي

ولما نزل عليه السلام بقباء نزل على شيخ بني عمرو كلثوم ابن الهدم وكان يجلس للناس ويتحدث لهم فى بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا ونزل أبو بكر بالسنح (محـلة بالمدينة) على خارجة بن زيد من بنى الحارث من الخزرج

﴿ مسجد قباء ﴾

وأقام رسول الله بقباء ليالى أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام بمن معه من الانصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله فى غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناة المساجد فى القرون الاخيرة لان

الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم الا منصرفا لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقي بها حر الشمس

﴿ الوصول الى المدينة ﴾

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون به متقلدي سيوفهم وهنا حدث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله اليهم يوما سعيداً لم يروا فرحين بشئ فرحهم برسول الله وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا　　من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا　　ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا　　جئت بالامر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله

﴿ أول جمعة ﴾

وأدركته عليه السلام صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف

فنزل وصلاها وهـذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام حمد الله وأثنى عليـه ثم قال أما بعـد أيها الناس فقـدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقنّ أحـدكم ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالا فلا يري شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهـه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجـد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسـنة عشرة أمثالهـا الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

النزول على أبي أيوب

ثم ساروا وكلما مروا على دار من دور الانصار يتضرع اليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بنى عدي بن النجار وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جـده فبركت بمحلة من

محلاتهم أمام دار أبي أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد
(١) وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل
ان شاء الله (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين).
فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه في منزله وجاء أسعد بن زرارة
فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بني النجار يقلن.

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام أتحببنني فقلن نعم فقال الله يعلم أن قلبي.
يحبكن واختار عليه السلام النزول في الدور الاسفل من دار
أبي أيوب ليكون أريح لزائريه ولكن لم يرض رضي الله عنه.
ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن أن يصيبه من التراب الذي
يحدثه وطء الاقدام أو الماء الذي يهراق فقد اتفق أن كسرت.
من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهي بقطيفتهما التي ليس
لهما غيرها ينشفان الماء خوفا على رسول الله ولذلك لم يزل
أبو أيوب يستعطفه حتى كان في العلو وكانت تأتيه الجفان.

---

(١) توفى زمن معاوية في حصار القسطنطينية ودفن هناك
خارج المدينة

كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فما من ليلة الا وعلى بابه الثلاث أو الاربع من جفان الثريد

﴿ نزول المهاجرين ﴾

ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على أنصاري الا بقرعة

﴿ أخوة الاسلام ﴾

ومن يتأمل الى هذه المحبة التى يستحيل أن تكون بتأثير بشر بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد

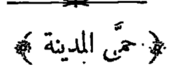
وكان الانصار يوءثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى فى سورة الحشر (والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويوءثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن

يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهـذا أعلى درجات الاخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمكن بينهم الاخاء آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في الله ومن العبث أن نكلف القلم أن يوضح للقارئ ان هذه الاخوة كانت أرقي بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك للاحساس الاسلامي فانه أفصح منطقا من القلم وعلى الاجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحدا فى أجسام متفرقة وعسى الله أن يوفق مسلمي عصرنا الى هـذا الاخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون . وكان هذا الاخاء على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وكان عليه السلام يقول لـكل اثنين (تآخيا فى الله أخوين أخوين) ودام هـذا الميراث الى أن نسخه الله بقوله فى سورة الاحزاب (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)

﴿ هجرة أهل البيت ﴾

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا

رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة زوجه وأم أيمن زوج زيد وابنها أسامة . أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع وخرج مع الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم رومان زوج أبيه وعائشة أخته وأسماء زوج الزبير بن العوّام وكانت حاملا بابنها عبد الله وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة



﴿ حمّى المدينة ﴾

ولم يكن هواء المدينة فى البدء موافقا للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيراً منهم الحمى وكان رسول الله يعودهم فلما شكوا اليه الامر قال ألهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وأشدّ وبارك لنا فى مدها وفى صاعها وانقل وباءها الى الجحفة(١) فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون فى المدينة بسلام

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهي ميقات أهل الشام

﴿ منع المستضعفين من الهجرة ﴾

ومنع مشركو مكة بعضا من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السلام يدعولهم فى صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل فى أوقات مختلفة ومحالّ فى الصلاة مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابى ما رآه وهذا سبب اختلاف الأئمة فى مكان القنوت

﴿ السنة الاولى — بناء المسجد ﴾

ثم شرع عليه السلام فى بناء مسجده فى مبرك ناقته أمام محلة بنى النجار وكان محله مِرْبداً للتمر يملكه غلامان يتيمان فى حجر أسعد بن زرارة فدعا الغلامين وساومهما المربَد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فأمر بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا فى البناء به

وجعلوا عضادتي الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلا وقد عمل فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم * اللهم لا خير الا خير الآخره * فارحم الانصار والمهاجره * وجعلت قبلة المسجد فى شماله الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم حصبت أرضه لان المطر كان قد أثر فيه فامر عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر وبنى بجانبه حجرتان احداهما لسودة بنت زمعة والاخرى لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجا غيرهما اذ ذاك وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل بنائه وصارت الحجرات تبنى كلما جاءت زوج

﴿ بدء الاذان ﴾

أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائما متذكرين عظمة العلى الاعلى فيتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه ولذلك قال في محكم كتابه فى سورة العنكبوت (ان الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر) وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً فى شؤونهم واحتياجاتهم ويقووا روابط الالفة والاتحاد بينهم ومتى حان وقت الصلاة فلابد من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهي حتى يكون الاجتماع عاما فأتمر النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك فقال بعضهم نرفع رايه اذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لانها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل نارا على مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه رسول الله لانه لم يكن يحب تقليد اليهود فى عمل ما وأشار بعضهم بالناقوس وهو مايستعمله النصارى فكرهه الرسول أيضاً وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس اذا حانت الصلاة وينادى بها فقبل هذا الرأى وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الانصاري فبينما هو بين النائم واليقظان اذ عرض له شخص وقال ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله أكبر الله أكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حيّ على الصلاة مرتين

ثم حيّ على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر رؤياه فقال انها لرؤيا حق ثم قال له لقن ذلك بلالاً فانه أندى صوتا منك وبينما بلال يؤذن اذجاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يارسول الله . وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله ابن أم مكتوم وكان بلال يقول فى أذان الصبح بعد حيّ على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر فى فجر رمضان بأذانين أولهما يوقظ به الغافلون حتى يتنبهوا للسحور والثانى للصلاة * أما الاذان للجمعة فكان أوّله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخاري ولما تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر فى العهد الاول بين يديه

فعلم بذلك أن الاذان فى المسجد بين يدي الخطيب بدعة

أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الاذان لانهُ انما هو نداء الى الصلاة ومن هو فى المسجد لامعنى لندائه ومن هو خارج المسجد لايسمع النداء اذا كان النداء فى المسجد ذكر ذلك الشيخ محمد بن الحاج فى المدخل

قال الحافظ فى فتح الباري . وأما ماأحدث الناس قبل الجمعة من الدعاءاليها بالذكروالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو فى بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اه

فعلم من ذلك كله ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذان الجمعة أنهُ كان اذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنارفاذا انتهت الخطبة أقيمت الصلاةوماعداذلك فكلهُ ابتداع

أما الاقامة وهى الدعوة للصلاه في المسجد فقد اختلفت الروايات فى نصها فرواها محمد بن ادريسَ الشافعيُ مفردة الا لفظ قد قامت الصلاة فمثنى ورواها مالك بن أنس مفردة كلها ورواها أبو حنيفة النعمان مثنى كلها

يهود المدينة

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين فى مكة بمشركى قريش

ابتلاهم في المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظـة والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم أنه الحق وكانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ماعرفوا استعظم رؤساؤهم أن تكون النبوّة في ولد اسماعيل فكفروا بما أنزل الله بغيا مع أنهم يرون أن رسول الله محمداً لم يأت الا مصدقا لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبينا ما أفسده التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهـم لا يعلمون . وممـا عابوه على الاسلام نسخ الاحكام ومادروا أن القادر العليم يعلم ما يحتاجهُ الانسان أكثر منهم فانه ميال بطبعه للترقي والرسول عليه السلام وجد بادىء بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شيء من الاعتقادات الالهية فكانت الحكمة داعية لان يكون التشريع لهم على التدريج لانهُ لو حرم الله عليهم شرب الخمر وأكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى آخر الاوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما أجابه أحد

من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة اهواؤهم الذين كانوا منغمسين.
فى كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالامر شيئا فشيئا حتى رُوّضت عقولهم وهذبت نفوسهم
وكانت الاحكام لاينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التى
تقتضيها ليكون التأثير فى النفوس أشد ولكن اليهود أرادوا
غلّ يد القدرة عن أن تفعل الامايشتهون وقد حجهم القرآن
الشريف بما يدل على أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق
فقال فى سورة البقرة (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند
الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين).
ثم حتم جلّ ذكره عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من أنفسهم انهم على
الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم علي تكذيب
الصادق الامين ولم ينقل لنا عن أحد منهم انهُ تمنى ذلك ولو نطقا
باللسان وقد تبين الهدي لاحد رؤساء بنى قينقاع وهو عبدالله
ابن سلام فترك هواه وأسلم بعد أن سمع القرآن وبعد أن كان
اليهود يعدونهَ من رؤسائهم عدُّوه من سفهائهم حينما بلغهم

اسلامه فيا بئس ما اشتروا لانفسهم ولما استحكمت فى قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون أنفسهم فى اطفاء نوره (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ المنافقون ﴾

وكان يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفا على حياتهم وكان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجي الذي كان مرشحاً لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لان أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مراراً والاساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل ما ظهر ويترك لله ما بطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم فى عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلا ممن عهد عليه

النفاق لانه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملا فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم أنهم لا يثقون فى الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهار ما يخالف ما فى الفؤاد

﴿ معاهدة اليهود ﴾

هذا وقد علمت أنه كان يضاد المسلمين فى المدينة فئتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه وأقرهم على دينهم

﴿ مشروعية القتال ﴾

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحداً على الدخول فى الدين بل كان الامر قاصرا على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآى ما يقويه على الصبر أمام

ما كان يلاقيه من أذى قريش ومن ذلك قوله في سورة الاحقاف (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان كثيراً ما يقص الله عليه أنباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان أهل مكة ألجؤوه الى الخروج من داره بعد أن ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج (١) (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك في قوله في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدُّ من القتلِ ولا تقاتلوهمْ عند المسجد الحرامِ حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

(١) آية مدنية في ضمن سورة معظمها مكي

ويكون الدينُ للهِ فان انتهوْا فلا عدوانَ الا على الظالمينَ)
وبذلك لم يكن الرسول يتعرض الا لقريش دون سائر العرب
فلما تمالأ على المسلمين غير أهل مكة من مشركى العرب واتحدوا
عليم مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله فى سورة
التوبة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وبذلك
صار الجهاد عاما لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا
مصداق قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا
بحقها وحسابهم علي الله) ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة
للعهود حيث انهم ساعدوا المشركين فى حروبهم أمر الله
بقتالهم بقوله فى سورة الأنفال (وإما تخافنّ من قوم خيانة
فانبذ اليهم على سواء إنّ اللهَ لا يحبُّ الخائنين) وقتالهم
واجب حتى يدينوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله للأعداء على
هذه المبادىء الآتية

(١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدؤا بالعدوان

فصار للملسمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى رؤى من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتى يؤمن جانبهم بالنفى أو القتل

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشا قوتلت حتى تدين بالاسلام

(٤) كل من بادأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتى يذعن بالاسلام أو يعطى الجزية عن يد وهو صاغر

(٥) كل من أسلم فقد عصم دمه وماله الا بحقه والاسلام يقطع ماقبله

وقد أنزل الله فى القرآن الكريم كثيراً من الآى تحريضا على الاقدام فى قتال الاعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف فقال فى الموضوع الاول فى سورة النساء (فليُقاتلْ فى سبيل الله الذين يشرُون الحياة الدنيا بالآخرةِ ومن يقاتل فى سبيل اللهِ فيُقتَلْ أو يغلبْ فسوْف نؤتيه أجراً عظيما) وقال فى الموضوع الثانى فى سورة الانفال (ياأيها الذين آمنوا اذالقيتم

الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)

بدء القتال

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارتها الى الشام لتبيع وتبتاع ويسمي الركب السائر بهذه التجارة عيرا وكان يسير معها لحراستها كثير من أشراف القوم وسراتهم ولابد لوصولهم الى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك ادعى لخذلانهم فى ميدان القتال الذي لابد أن يكون، لان قريشا لم تكن لتسكت عمن سفه احلامهم وعاب عبادتهم خصوصا وهم قدوة العرب في الدين

سرية (١)

فقي شهر رمضان أرسل عمه حمزة بن عبد المطلب في

(١) السرية قطعة من الجيش ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها،

ثلاثين رجلا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد حليف حمزة ليعترض عيراً لقريش آتية من الشام فيها أبو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (١) فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجديا على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال أرسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكبا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله مسطح ابن اثاثة ليعترض عيراً لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير ببطن رابغ(٢) فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون أن يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان وكانا قد

رسول الله والتي كان فيها تسمى غزوة .

(١) عرض من أعراض المدينة أي ناحية منها

(٢) واد بين الحرمين قرب البحر

أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

وفيات

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع أسلم قديما وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الاحجار على المقابر لا ما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهيا كل على القبور وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالاصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيراً ما تشبه ما كان يفعله مشركوا مكة عند معابدهم ومن العبث فعل شئ لم يفعله رسول الله مما يتعلق بأمور الآخرة.

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثنى عشر كان رضي الله عنه نقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لان ابن أخت القوم منهم ومات أيضاً البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذي كان يتكلم عن القوم في

العقبة الثانية ومات من مشركي مكة في هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل ما جزعك يا عم فقال والله مابي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان لاتخف انى ضامن أن لا يظهر وفيها أيضاً مات العاصي بن وائل السهمي وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين

﴿ السنة الثانية غزوة وَدان ﴾

ولا ثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استخلف عليها سعد ابن عبادة ليعترض عيراً لقريش فسار حتى بلغ ودان (١) وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم يلق هناك حربا لان العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بني ضمرة على انهم آمنون على أنفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دعوا ثم رجع الى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة

---

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها و بين الابواء ستة أميال

غزوة بُواط

ولم تمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه ان عيراً لقريش آتية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فسار اليها فى مائتين من المهاجرين وذلك فى ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن أبى وقاص فسار حتى بلغ بواط (١) فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيدا وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على أنفسهم والاجتهاد فى تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

غزوة العُشيرة

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشى أو قرشية لها مثقال فصاعدا الا بعث به فى تلك العير وكان يرأسها أبو سفيان بنُ حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً فخرج لها الرسول فى جمادى الاولى ومعه مائة وخمسوون من المهاجرين

(١) جبال جهينة على ابراد من المدينه جهة ينبع

واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت . وحالف عليه السلام فى هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

غزوة بدر الاولى

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول فى طلبه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الانصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتى بلغ سفوان (١) وفاته كرز فلم يلق حربا وتسمى هذه الغزوة بدرا الاولى

سرية

وفى رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها عبد الله بن جحش وأعطاه كتابا مختوما لا يفضه الا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم

(١) واد من ناحية بدر

فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بتقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فترصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا يمكنه المقاومة ثم سار عبد الله رضي الله عنه وفى أثناء السير تخلف سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لانهما أضلا بعيرهما الذي كانا يعتقبانه وسار الباقون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فاجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا امامعهم فحملوا عليهم فى آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا فى الاشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ماأمرتكم

بقتال فى الاشهر الحرم فندموا فأنزل الله فى سورة البقرة (يسئلونكَ عنِ الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيهِ كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ الله وكفربهِ والمسجدِ الحرامِ واخراجُ أهلهِ منهُ أكبرُ عند اللهِ والفتنةُ أكبرُ من القتل) فسرى عنهم وقد طلب المشركون فداء أسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعدٌ وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية فى الاسيرين فاما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وبقى مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافراً

تحويل القبلة

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس فى صلاتهِ وكان يحب أن تكون قبلته الكعبة ويقلب وجههُ فى السماء داعيا الله بذلك فبينما هو فى صلاته اذ أوحى الله اليه بتحويل القبلة الى الكعبة فتحول وتحول من وراءه وكانت هذه الحادثة سببا لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم وقد أكثر اليهود من التنديد

على الاسلام بهذا التحويل وما دوروا أن لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ صوم رمضان ﴾

وفى شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الامة الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التى بها يتم النظام فان الانسان مجبول على حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركا ماوراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

﴿ صدقة الفطر ﴾

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة

﴿ زكاة المال ﴾

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهـذه هي النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هـؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أن تؤدي ربع عشرها أي اثنين ونصفا في كل مائة وما زاد فبحسابه واذا بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والا بل خمسا وحال عليها الحول وجب عليك كذلك أن تؤدي منها جزءاً مخصوصا حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين في آية الصدقة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء مقلل لمصائب الفقر التي الجأت كثيراً من فقراء الامم أن يخالفوا نظام دولهم

ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الا من كما يفعله
الاشتراكيون وغيرهم

﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام
وهي متوجهة الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها فلما
سمع برجوعها ندب اليها أصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا
اليها لعل الله أن ينفلكموها فاجاب قوم وثقل آخرون لظنهم
ان الرسول عليه السلام لم يرد حربا فانه لم يحتفل بها بل قال
من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره
غائبا فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد ان ولى على
على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر
رجلا مائتان ونيف وأربعون من الانصار والباقون من
المهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعتقبونها والحامل للواء
مصعب بن عمير العبدرى * ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول
صلى الله عليه وسلم استأجر راكبا ليأتي قريشا ويخبرهم الخبر
فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم وخافوا على تجارتهم فنفروا

سراعا ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو لهب بن عبد المطلب فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة وأراد أمية بن خلف أن يتخلف لحديث حدثه أياه سعد بن معاذ حينما كان معتمراً بعد الهجرة بقليل حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا أدرى ففزع لذلك وحلف ان لا يخرج فعابه أبو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته الى حتفه رغم أنفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا أجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول أمامهم القَينات يغنين بهجاء المسلمين و (زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال فى سورة الحشر (كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال اني برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله فى هذه الواقعة (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى

برىء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب) وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه الا للعير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحاء (١) جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدرا غداً أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس ان الله قد وعدني احدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير) فتبين له عليه السلام أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الاموال فقد قالوا هلا ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الانفال (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) ثم قام المقداد بن الاسود

---

(١) موضع على ثلاثين أو أربعين ميلا جنوب المدينة الغربي

رضي الله عنه فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فوالله لا
تقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا على أيها الناس
وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب
عليهم نصرته الا ما دام بين أظهرهم فان فيها يارسول الله إنا
براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فانت في
ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ
سيد الاوس كأنك تريدنا يارسول الله فقال أجل فقال سعد
قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك
الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لنخوضنه معك وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً انا
لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به
عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال
كما في روايه البخاري (أبشروا والله لكأني أنظر الى مصارع

القوم) فعلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لا بد حاصلة وحتيمة حصلت فان أباسفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وساره تبعاً ساحل البحر فنجا وأرسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لا نرجع حتى نحضر بدراً (١) فنقيم فيه ثلاثا نحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً فقال الاخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفا لهم ارجعوا يا قوم فقد نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرا زهري ولا عدوي ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا اعدوته القصوى (٢) عن المدينة في أرض سهلة لينة أما جيش المسلمين فانه لما قارب بدرا أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب والزبير بن العوّام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبنى الحجاج وغلام لبنى العاص السّهميّين فأتيا بهما والرسول عليه السلام

---

(١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب فى الجنوب الغربي منها على الطريق السلطانى وكان به سوق يعقد كل سنة ثمانية أيام

(٢) عدوة الوادى شاطئه

قائم يصلي ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباهما لانهما ظنا أن الغلامين لابى سفيان فقال الغلامان نحن لابى سفيان فتركاهما ولما أتم الرسول عليه السلام صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب فقال لهما كم هم فقالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعاً ويوما عشراً قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عمن فى النفير من أشراف قريش فذكرا له عدداً عظيما فقال عليه السلام لاصحابه هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها (١) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيداً عن الماء فى أرض سبخة فأصبح المسلمون عطاشا بعضهم جنب وبعضهم محدث فحدثهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم فانه قال لهم ما ينتظر المشركون منكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا

(١) قطع كبدها

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤا وملؤا الاسقية ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام على حين ان كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الانفال (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقد أرى الله رسوله في منامه الاعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلي العُدة كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمرا كان مفعولا قال تعالى في سورة الانفال (اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا والى الله ترجع الامور) ثم سار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر فقال له الحباب بن المنذر الانصاري وكان مشهوراً بجودة الرأي يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا

أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال
بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يارسول الله ليس لك
هذا بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فانى
أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغوّر ماعداه من الآبار ثم
نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال الرسول
عليه السلام لقد أشرت بالرأى ونهض حتى أتى أدنى ماء من
القوم ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغوّرت لينقطع أمل المشركين
فى الشرب من وراء المسلمين وبني حوضا على القليب الذي
نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس يانبى الله ألا
نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقي عدونا
فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببناوان
كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد
تخلف عنك أقوام يانبي الله مانحن بأشد لك حبا منهم ولا
أطوع لك منهم لهم رغبة فى الجهاد ونية ولو ظنوا أنك تلقى
حربا ماتخلفوا عنك انما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك
ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضي الله خيرا من

خلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ولما اجتمعوا عدّل عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاذك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو ابن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش ويحمل ما أصيب من عيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أباجهل الخبر وسمه بالجبن وقال والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل أن تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومي وقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لاموتن دونه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال (وان

الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بنى عمنا فأخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب للاول وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبى طالب للثالث فأما حمزة وعلي فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحا يسيل مخ ساقه وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله ان أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله

ونُسلِمُه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها بقضيب فى يده فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار

وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب فى بطنه وقال استقم يا سواد فقال أوجعتني يا رسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فأقدني من نفسك فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه وقال استقد يا سواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام ماحملك على ذلك فقال يارسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك فدعا له بخير ثم ابتدأ عليه السلام يوصى الجيش فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول عليه السلام ذاك الوقت كما جاء فى صحيح البخاري (اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجز لك وعدك فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول (سَيُهْزَمُ الجمعُ ويولونَ الدُّبُرَ) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل

فيقتل صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة ومن
قتل قتيلا فله سلبهُ) فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأكلها
بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ثم
قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل واشتدّ
القتال وحمي الوطيس وأيد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم
ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن الا ساعة حتي هزم الجمعُ وولوا
الدُّبر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين
نحو السبعين منهم من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن
عتبة قتلوا مبارزة أوّل القتال وأبو البختري بن هشام والجرّاح
والد أبي عبيدة قتله ابنهُ بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل
أمية بن خلف وابنه على اشترك في قتلهما جماعة من الانصار
مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر وقد سعيا في ذلك لما كان
يفعله بهما أمية في مكة ومن القتلى حنظلة بن أبي سفيان وأبو
جهل بن هشام أثخنهُ فتيان صغيران من الانصار لما كانا
يسمعانه من أنهُ كان شديد الايذاء لرسول الله وأجهز عليه
عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله عليّ بن أبي

طالب وقتل عبيدة والعاصى ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص ابن أمية وقتل كثيرون غيرهم أما الاسرى فكانوا سبعين أيضاً قتل منهم عليه السلام وهو راجع عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين

وقد أمر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التى كان الرسول عليه السلام أخبر بها قبل حصول الموقعة الى قليب بدر لانه عليه السلام كان من سننه فى مغازيه اذا مرّ بجيفة انسان أمر بها فدفنت لايسال عنه مؤمنا أو كافراً ولما القي عتبة والد أبى حذيفة أحد السابقين الى الاسلام تغير وجه ابنه ففطن الرسول عليه السلام لذلك فقال لعلك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه حزننى ذلك فدعا له الرسول عليه السلام بخير ثم أمر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذى رمي فيه المشركون فجعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان أيسركم أنكم كنتم

أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم وتقول عائشة رضى الله عنها انما قال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور تقول يعلمون ذلك حينما تبوؤا مقاعدهم من النار (رواه البخاري ثم أرسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله بن رواحة لاهل العالية (١) وأرسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكبا على ناقة رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة الاعداء في اذاعة الضراء يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بما سرّ أهل المدينة وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان ثم قفل رسول الله راجعاً وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم فالشبان يقولون باشرنا القتال فهي لنا خالصة

(١) قرى بظاهر المدينة وهى العوالى

والشيوخ يقولون كنا ردءا لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله حسما لهذا الخلاف أول سورة الانفال (يسئلونكَ عنِ الانفالِ قل الانفالُ لله والرسول فاتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على أفئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وأدخل في الاسهام بعض من لم يحضر لأمر كلف به وهم أبو لبابة الانصاري لانه كان مخلفا على أهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول عليه السلام خلفه على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه والحارث بن الصمةِ وخوّات بن جبير لانهما كسرا بالروحاءِ فلم يتمكنا من السيرِ وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما أرسلا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول عليه السلام خلفه على ابنته رقية يمرضها

وعاصم بن عدي. لانه خلفه على أهل قباء والعاليـة وكذلك اسهم لمن قتل يدروهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذي جرح في المبارزة الاولى فانه رضى الله عنه مات عنـد رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة تلقتـه الولائد بالدفوف يقلن

طلع البدر علينـا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

﴿ أسرى بدر ﴾

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالاسرى فقـال عمر بن الخطاب يارسول الله قـد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى ان تمـكنني من فـلان لقريب له فأضرب عنقه وتمـكن حمزة من أخيه العباس وعليا من أخيه عقيل وهكذا حتى يعلم أنه ليس فى قـلوبنا مودة للمشركين ما أرى أن تكون لك اسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم

وأعتهم وقادتهم ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال أبو بكر يارسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك ياأبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وان مثلك ياعمر مثل نوح قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد ان مدح كلاً من الصاحبين لان الوجهة واحدة وهي اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم الا بفداء وقد بلغ قريشا ما عزم عليه الرسول في أمر الاسرى فناحت على القتلى شهراً ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا كيلا يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا أن لا يبكوا قتلاهم

حتى يأخذوا بثارهم وتواصوا فيما بينهم أن لا يعجلوا فى طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه

الفداء

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وَداعة السهمي وكان أبوه من الاسرى فخرج خفية حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعثت قريش فى فداء أسراها وكان أربعة آلاف الى ألف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى عمرو بن أبي سفيان ولما طُلب من أبيه فداؤه أبي وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالى دعوه يمسكوه فى أيديهم ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان الانصاريّ معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو فمضى قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا به سعداً (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثنى عليه

خيراً في مصاهرته فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص أن يطلق زينب كما فعل ابنا أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضي الاصحاب بذلك فأطلقه عليه السلام بشرط أن يترك زينب تهاجر الى المدينة فلما وصل الى مكة أمرها باللحاق بأبيها وكان الرسول أرسل لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما أسلم أبو العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله انزع ثنيتي سهيل يَدلَعْ (١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبدا فقال عليه السلام

(١) يخرج

لاأمثل فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسي أن يقوم مقاما لاتذمه وقدم بفدائه مكرز بن حفص ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء . هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانهُ لما مات عليه السلام أراد أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الاعراب فقام سهيل هذا خطيبا وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فأن محمداً قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لايموت ألم تعلموا أن الله قال (انك ميتٌ وانهم ميتون) وقال (وما محمدٌ الاَّ رَسولٌ قدْ خلتْ منْ قبلهِ الرُّسلُ أفائن مات أوْ قتل انقلبتمْ على أعقابكم) ثم قال والله اني أعلم ان هذا الدين سيمتدُّ امتداد الشمس في طلوعها فلايغرنكم هذا (يزيد أبا سفيان) من أنفسكم فانهُ ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنهُ قدختم على صدره حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمتهُ تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان ذلك لم يَزد الاسلام الاقوّة فمن رأيناه ارتدَّ ضربنا عنقه فتراجع

الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا
صلى الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكه
اخواه خالد وهشام فلما افتدى ورجع الى مكة أسلم فقيل له
هلا أسلمت قبل الفداء فقال خفت ان يعدوا اسلامي خوفا
ولما اراد الهجرة منعهُ أخواه ففرَّ الى النبي فى عمرة القضاء
(ومن) الاسرى السائب بن يزيد وكان صاحب الراية فى
تلك الحرب فدى نفسه وهو الجد الخامس للامام محمد
ابن ادريس الشافعى (ومنهم) وهب بن عمير الجمحى كان أبوه
عمير شيطانا من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول الله
جلس يوما بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية
يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا دين عليَّ ليس عندي
قضاؤه وعيال أخشى عليهم الفقر بعدى كنت آتى محمداً فأقتله
فان ابنى أسير فى أيديهم فقال له صفوان دينك عليَّ وعيالك
مع عيالى فاخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم
المدينة فبينا عمر مع نفر من المسلمين اذ نظر الى عمير متوشحا
سيفه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا بشر ثم قال للنبي

عليه السلام هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحا سيفه فقال أدخله عليّ فاخذ عمر بحمائل سيفه وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه يا عمر ادنُ يا عمير فدنا وقال انعموا صباحا فقال عليه السلام قد أبدلنا الله تحية خيرا من تحيتك وهي السلام ثم قال ماجاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي فى أيديكم فاحسنوا فيه. قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا. فقال عليه السلام أصدقنى ما الذي جئت له قال ماجئت الا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر وقلتما كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا أخاكم فى دينه واقرؤه القرآن واطلقوا أسيره فعاد عمير الى مكة وأظهر اسلامه (ومن) الاسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير مر به أخوه فقال للذي أسره شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له يا أخى هذه وصايتك بى. بعثت أمه بفدائه أربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس بن عبد المطلب

عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرها ولما وقع في الاسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب فقال علام ندفع وقد استكرهنا علي الخروج فقال عليه السلام لقد كنت فى الظاهر علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت لام الفضل أموالا وقلت لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما اطلع علي ذلك أحد . وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فانه عليه السلام لم يعاف عمه مع علمه بانه انما خرج مكرها وقد عافى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين)(ومن) الاسرى أبو عزة الجمحى الشاعر كان شديد الايذاء لرسول الله بمكة فلما أسر قال يا محمد اني فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن عليّ فمنّ عليه فضلا منه.

﴿ العتاب فى الفداء ﴾

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) نهى سبحانه عن اتخاذ الاسرى قبل الاثخان فى قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين على ارادة عرض الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهدا على اجتهاده ما دام المقصد خيرا لكان العذاب ثم أباح لهم الاكل من تلك الفدية المبنى أخذها على النظر الصحيح وهذا من أقوى الادلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لانه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأى كثير من الصحابة وقد وعد الله الاسرى الذين يعلم فى قلوبهم خيرا بأن يؤتيهم خيرا مما أخذ منهم ويغفر لهم فقال (ياأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى أن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله

غفور رحيم) وهـذه الغزوة هى التي أعز الله بها الاسـلام وقوّى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهى آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسوّمة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله فهى أعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره فقـد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الأعـداء الألداء للاسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم أن شكرنا العلى الاعلى على هـذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من رمضان عيدا نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين

﴿ غزوة قينقاع ﴾

هـذا واذا كان للشخص عـدوان فانتصر على أحدهما

حرك ذلك شجو الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا ما حصل من يهود بنى قينقاع عند تمام الظفر فى بدر فانهم نبذوا ما عاهدوا المسلمين عليه وأظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار وهذا مما يدعوا المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم فى المستقبل اذا شبت الحرب فى المدينة بين المسلمين وغيرهم فأنزل الله فى سورة الانفال (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ (١) اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغى ونكث العهد فقالوا يا محمد لا يغرنك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن انا نحن الناس وكانوا أشجع يهود فانزل الله فى سورة آل عمران (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى

---

(١) أى فاطرح لهم العهد على طريق مستو قصد بان تظهر لهم نبذ العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (ان الله لا يحب الخائنين)

سبيل الله وأخري كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار) وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبد الله بن أبيّ وقال اني رجل أخشى الدوائر فأنزل الله تعليما للمسلمين فى سورة المائدة (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) وعند ما تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام فى نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة

جلاء قينقاع

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخلى سبيلهم فيخرجوا من المدينة

ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا الى أذرعات (١) ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوي القربى لبنى هاشم ولبنى المطلب دون بنى أخويهما عبد شمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال انما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شئ واحد فى الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

غزوة السويق

كان أبو سفيان متهيجا لانه لم يشاهد بدرا التي قتل فيها ابنه وذوو قرباه فحلف أن لايمس رأسه الماء حتي يغزو محمداً وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير ليهيجهم ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ثم خرج من

(١) بلد بالشام

عنده وأرسل رجالا من قريش الى المدينة فحرقوا بعض نخلها
ووجدوا أنصاريا فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج أثرهم
فى مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذي الحجة بعدان ولى
على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لانهم هربوا
وجعلوا يخففون مايحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فألقوا
مامعهم من جرب السويق فأخذه المسلمون ولذلك سميت
هذه الغزوة بغزوة السويق

صلاة العيد

وفى هذا العام سن الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها
يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين أن يجددوا عهود الاخاء
ويقووا عروة الدين الوثقى وهى الاجتماع فى يومى عيد
الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين فى
صعيد واحد ويصلي بهم ركعتين تضرعا الى الله أن لا يفصم
عروتهم وأن ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضا لهم على
الائتلاف ومذكراً لهم مايجب عليهم لانفسهم ثم يصافح
المسلمون بعضهم بعضا وبعد ذلك يخرجون لاداء الصدقات

للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاما لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى تضحيته نسأله تعالى أن يؤلف قلوبنا ويوفقنا لأعمال سلفنا

﴿ زواج علي بفاطمة عليهما السلام ﴾

وفى هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب وعمره احدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بعائشة بنت أبى بكر وسنها اذ ذاك تسع سنوات

﴿ السنة الثالثة ﴾

بالله يقضى على الشقى بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه الا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الاشرف اليهودي عظيم بنى النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يحرض قريشاً على حرب رسول الله ويهجوه بالشعر ويجتهد فى اثارة

الشحناء بين المسلمين فكلما جبر عليه السلام كسرا هاضه هذا الشقي بما ينفثه من سموم لسانه

﴿ قتل كعب بن الاشرف ﴾

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الاسرى مقرنين في الحبال خرج الى قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري الاوسي أتحب أن أقتله قال نعم قال أنا لك به وأذن لى أن أقول شيئاً أتمكن به فأذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه قد عنانا وانى قد أتيتك أستسلفك قال وأيضاً والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني. قالوا أي شيء تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف

نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هـذا عار علينا ولـكن نرهنك اللأمة يعني السلاح فرضي فواعده ليلا ان يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناداه محمد بن مسلمة فأراد ان ينزل فقالت له امرأته أين تخرج الساعة وانك امرؤ تحارب فقال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لأجاب ثم قال محمد لمن معه اذا جاءني فاني آخذ بشعره فأشمه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحا سيفه وهو ينفح منه ريح المسك فقال محمد ما رأيت كاليوم ريحا أطيب اتأذن لى أن أشم رأسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر أعماله التى كان يقصدها بهم ثم أتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي فى ربيع الاول من هـذا العام وكان عليه السلام اذا رأى من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب ارسل له من يريحه من شره وقد

فعل كذلك مع أبي عفك اليهودى وكان مثل كعب فى الشر

﴿ غزوة غطفان ﴾

بلغ رسول الله أن بنى ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة زئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فاراد عليه السلام ان يغل أيديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة فى أربعمائة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رءوس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا أمر فعسكروا به وحدث أنه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فابصره دعثور فاقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك منى يا محمد فقال الله فأدركت الرجل هيبة ورعب أسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فاسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من عداوة

رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ما ينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر)

غزوة بحران

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بنى سليم يريدون الغارة على المدينة فسار اليهم فى ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل الى بحران (١) تفرقوا ولم يلق كيداً فرجع

سرية

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق فى وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيراً الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من أضخم أعراض المدينة

منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أميــة وحويطب بن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فأرســل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فأُخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمّس الرسول عليه السلام هذه حينما وصلت له.

﴿ غزوة أُحُد ﴾

لمـا أصاب قريشاً ما أصابها يبدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقي من أشرافهـم الى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لأصحابها بعد فقالوا ان محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وانا رضينا أن نترك ربح أموالنا فيها استعداداً لحرب محمد وأصحابه وقد رضي بذلك كل من له فيها نصيب وكان ربحها نحواً من خمسين ألف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش

وهم حلفاؤهم من بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة ومعهم أبو عامر الراهب الاوسي وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من أعراب كنانة وتهامة وقال صفوان ابن أمية لابي عَزة الشاعر الذي لاينسى القارىء أن الرسول منّ عليه ببدر وأطلقه من غير فداء انك رجل شاعر فأعنا بلسانك فقال انى عاهدت محمداً أن لاأُعين عليه وأخاف أن وقعت فى يده مرة ثانية أن لا أنجو فلم يزل به صفوان حتى اطاعه وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاما حبشيا له اسمه وحشى وكان راميا قلما يخطىء فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بعمى طُعَيمة فانت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة. أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه العباس ابن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين فى هذه الحرب

محتجا بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضا عبد الله بن أبى أما الاحداث وخصوصا من لم يشهد بدراً منهم فاشاروا عليه بالخروج وكان من رأيهم حمزة بن عبد المطلب ومازال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثرون عدداً والأقوون جلداً فصلى الجمعة بالناس فى يومها لعشر خلون من شوال وحضهم فى خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم لكم النصر ماصبرتم ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين(١) وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره ولما رأى ذوو الرأى من الانصار ان الاحداث استكرهوا الرسول على الخروج لاموهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمرنا فلما خرج عليه السلام قالوا يارسول

(١) أى لبس درعا فوق درع وهما دات الفضول وفضة التى أصابها من بني قينقاع

الله تتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الألوية فأعطي لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لأسيد بن الحضير وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي من اليهود فقال انا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى فى الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع ابن خديج وسَمُرَةُ بن جُنْدُب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردنى مع انى أصرعه فبلغ رسولَ الله الخبرُ فأمرهما بالمصارعة فكان الغالبَ سَمُرَةُ فأجازه ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان بن قيس وفى السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحدٍ والمدينة رجع عبد الله بن أبى بثلاثمائة

من أصحابه وقال عصانى وأطاع الولدان فعلام تقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) فقال لهم أبعدكم الله فسيغنى الله عنكم نبيه . ولما فعل ذلك عبد الله بن أبى همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الاوس فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذلين فقوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله فى سورة النساء (فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادى من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل وعلى المشاة صفوان ابن أمية فجعل عليه السلام الزبير بن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلا

(١) جبل شمال المدينة الشرقى

يرأسهم عبد الله بن جبير الانصاري فوقفهم خلف الجيش
على ظهر الجبل وقل لا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم
فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا ثم عدل عليه
السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال (ألقي في قلبي
الرّوح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها
لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا في طلب
الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن
من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى له سائر جسده)
ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز
له الزبير فقتله ثم حمل اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله علي فحمل
اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة فحمله أخ لهما اسمه أبو سعيد
فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه فتناوب اللواء
بعده أربعة من أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم يقتلون وخرج
من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز
فاراد أبوه أن يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك يا أبا
بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي

كلها ينضحهم المسلمون بالنبل فيتقهقرون ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار تهييجا لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أحول وبك أصول وفيك اقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفى هذه المعمعة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشى وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطيء ثنايا بطنه

(هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا مالنا فى الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون أما رئيسهم فثبت ومعه قليل منهم فلما رأى خالد بن الوليد أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم

وهم مشتغلون بدنياهم فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت احدى نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء وأشاع أن محمداً قد قتل فدخل الفشل فى المسلمين حتى قال بعضهم علام تقاتل اذا كان محمد قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل أن انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلى وعثمان بن عفان وتوجهوا الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة الانصاري استمر بين يديه يمنع عنه بحجفته وكان رامياً شديد الرمى فنثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يقول وجهى لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول له عليه السلام أنثرها لابى طلحة وكان ينظر الى القوم

ليرى ماذا يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك (وممن) ثبت سعد بن أبي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم سعد فداك أبي وأمي (ومنهم) سهل بن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) أبو دجانة سماك بن خرشة الانصاري تترس على رسول الله فصار النبل يقع في ظهره وهو منحن حتى كثر فيه (وكان) يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتى أصابت الجراح مقاتله فأمر به فأدني منه ووسده قدمه حتى مات (وقد) أصابه عليه السلام شدائد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبيّ بن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره لا في هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان) أبو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة منها فأغمي عليه وخدشت ركبتاه

فأخذ عليّ بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله وهما ممن ثبت حتى استوى قائماً فرماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله وشجّ وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهري وجرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قمئة غضب الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فأنزل الله في سورة آل عمران (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وكان أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الانصاري فنادى يامعشر المسلمين ابشروا فأشار اليه الرسول ان اصمت ثم سار بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن أبي عبادة يريد الشعب ومعه جمع منهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمّة وأقبل عليه اذ ذاك عثمان بن عبدالله بن المغيرة يقول أين محمد لانجوت ان نجا فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمشى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة

فغسلت عنه الدم وكان علي يسكب الماء ثم أخذت قطعة من حصير فاحرقتها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم اراد عليه السلام ان يعلو الصخرة التي فى الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة مانزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى أصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لاقوة لنا الا بك ثم أرسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم (وقد) أصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً ان يصل للرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة اما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب ابن عمير ومن الانصار حنظلة بن أبي عامر وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن عمرو وأخو زوجه والدجابر بن عبد الله فأتت زوج عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وابنها واخاها على بعير لتدفنهم بالمدينة فنهى عليه السلام عن الدفن خارج أحد

فرجعوا (وقتل) سعد بن الربيع وأرسل عليه السلام من يأتيه
بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل
عنك فقال لمبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما
عاهدتم عليه رسوله ليلة العقبة فوالله مالكم عندي عذر (وقتل)
أنس بن النضر عم أنس بن مالك فأنه لما سمع بقتل رسول
الله قال ياقوم ماتصنعون بالبقاء بعده موتوا على مامات عليه
أخوانكم فلم يزل يقاتل حتى قتل رضى الله عنه ومثلت قريش
بقتلى أحد حتي ان هنداً زوج أبى سفيان بقرت بطن حمزة
وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها وفعلوا قريبا من ذلك
باخوانه الشهداء (ثم) ان أبا سفيان صعد الجبل ونادي باعلى
صوته نَعِمتْ فَعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم
بدر العام المقبل ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر
بها ولم تسؤنى . ثم ان المشركين رجعوا الى مكة ولم يعرجوا
على المدينة وهذا مما يدل على ان المسلمين لم ينهزموا فى ذلك
اليوم والا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتي يغيروا
علي مدينتهم . ثم تفقد عليه السلام القتلى وحزن على عمه

حمزة حزنا شديداً ودفن الشهداء كلهم بأحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن الرجلين والثلاثة في لحد واحد لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم أن يحفروا لكل شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون وأظهروا مافى قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم (لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا).

وهذا الذي ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فاصيبوا (أولهما) طاعة الرسول فى أمره فقد قال للرماة لاتبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا أو قهرنا فعصوا أمره ونزلوا (الثانى) ان تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التى كثيراً ماتكون سببا في مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتى عوقبوا وفى ذلك انزل الله فى سورة آل عمران التي فصلت غزوة أحد (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بأذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم

ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغى الاتفاق .والفشل فينبغى الثبات . والعصيان فينبغى طاعة الرئيس . نسأل الله التوفيق

غزوة حمراء الاسد

لما رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين الى المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى فى أصحابه بالخروج خلف العدو وان لايخرج الا من كان معه بالامس فاستجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه علي بن أبي طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الاسد (١) وقد كان ما ظنه الرسول حقا فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فاصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة

لم يحضر بالامس والقي الله الرعب فى قلوبهم فتمادوا فى سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم فى حمراء الاسد بأبى عزة الشاعر الذي منّ عليه ببدر بعد أن تعهد أن لا يكون على المسلمين فأمر بقتله فقال يا محمد أقلنى وامنن علي ودعني لبناتى واعطيك عهداً أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) اضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه وفى هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما أصيب منه ليس بعاقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك

جوادث

وفى هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد أن ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها أخت عثمان ابن مظعون وكانت قبله تحت خُنيس بن حُذافة السهمي رضي

الله عنه فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بنى هلال بن عامر كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها بأحد وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها (وفيها) ولد الحسن ابن علي رضى الله عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة وكان ذلك التحريم تابعا لحوادث تنفرّ عنها لان المنكر اذا أسند تحريمه لحادثة أقر الجميع على تقبيحها كان ذلك أشد تأثيراً فى النفس فأول ما بيّن فيها قوله تعالى فى سورة البقرة (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض المسلمين وخلّط في القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال تعالى في سورة النساء (ياايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شربها

اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعياً بقوله تعالى في سورة المائدة (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب (١) والأزلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقد أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن

﴿ السنة الرابعة ﴾

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله أن طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني أسد لحربه عليه السلام فدعا أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي وعقد له لواء وقال له سر حتى تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم وأرسل معه رجالا فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطنا (٣)

(١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد

(٢) هي القداح التى كانوا يستقسمون بها وفي قرن الخمر والميسر بالانصاب والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن اه (٣) جبل لبني أسد بناحية فيد شرقي المدينة

فأغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة إبلا وشاء فأخذها ولم يلق حربا ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفي) بدئها أيضاً بلغه عليه السلام أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى المقيم بعرنة (١) يجمع الجموع لحربه فارسل له عبدالله بن أنيس الجهنى وحده ليقتله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه ان يتقول حتى يتمكن فاذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لا كون معك فقال له أجل اني لفي الجمع له فمشي عبد الله معه وحدثه وسفيان يستحلى حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس عنه فجلس معه عبد الله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى أتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال

سرية

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيونا على قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله

---

(١) موضع قريب من عرفات

صلى الله عليه وسلم يطلبون من يفقههم فى الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع(١) غدر بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلى الذي كان قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائتى رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا الى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولكم العهد أن لا نقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقاتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول فى ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه وأما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثأر عند المسلمين وهناك قتلا وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

---

(١) ماء لبنى هذيل بين مكة وعسفان

﴿ سرية ﴾

فى صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو من رءوس بنى عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد بل قال انى أرى أمرك هذا حسناً شريفا ولو بعثت معى رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه السلام انى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معه المنذر بن عمرو فى سبعين من أصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا بئر معونة (١) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب الى عامر بن الطفيل سيد بنى عامر فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا أن يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم وهم رِعلٌ وذكوانٌ وعصية فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقاتلوهم حتى

---

(١) شرق المدينة بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم

قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظن أنه منهم وعمرو بن أمية كان فى سرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب فى أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع فى يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وأقام يدعو على الغادرين بهم شهراً فى الصلاة

﴿ غزوة بنى النضير ﴾

يا لله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم وهذا ما حصل ليهود بنى النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورن المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهود حسدا

منهم وبغياً فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحابه فى ديار بنى النضير اذ ائتمر جماعه منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم اخرجوا من بلادي فقد هممتم بما هممتم من الغدر (اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر) فتهيأ القوم للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الادبار ثم لا ينصرون) ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى رايته عليا أما بنو النضير فتحصنوا فى حصونهم وظنوا أنها مانعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون أدعى الى

تسليمهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب ولم يروا من عبد الله بن
أبيّ مساعدة بل خذلهم كما خذل بنى قينقاع من قبلهم فسألوا
رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت
الابل من أموالهم الا آلة الحرب ففعل وصار اليهود يخربون
بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون. ولما سار اليهود نزل
بعضهم بخيبر ومنهم أكابرهم حيّ بن أخطب وسلام بن أبي
الحقيق ومنهم من سار الى أذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان
يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما
أخذ من بنى النضير فانه فىء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب
ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله
ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى
فى سورة الحشر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله
وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل كى
لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) فأعطى عليه السلام من هذا
الفيء فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
وردوا لاخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام

هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضا يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاما

غزوة ذات الرقاع

وفى ربيع الآخر بلغه عليه لسلام ان قبائل من نجد يتهيئون لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج فى سبعمائة مقاتل وولى علي المدينة عثمان بن عفان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا فيها أحداً غير نسوة فاخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا فى رءوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضا ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدر بهم الاعداء وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فألقى الله الرعب فى قلوب الاعداء وتفرقت جموعهم خائفين منهُ صلى الله عليه وسلم

ومال الامام البخاري الى أن هذه الغزوة كانت فى السنة السابعة وأجمع أهل السير علي خلافه

غزوة بدر الآخرة

لما أهلّ شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد انقضاء غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فأجابه الرسول الى ذلك وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة فى شعبان يقيم التجار فيه ثمانيا فلما حل الاجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم ابن مسعود الأشجعى ليأتى المدينة ويرجف بما جمعه أبو سفيان من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالاً على ربه بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدراً فلم يجدوا بها أحداً لان أبا سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين ظانا أن ارجاف نعيم يفيد فيكون المخلف هم المسلمون فسار حتى أتي مجنة وهي سوق

معروفة من ناحيــة مرّ الظهران فقال لقومه ان هــذا عام جدب ولا يُصلحنا الا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فأقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارته أحد (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابي سفيان قد والله نهيتك أن تعد القوم وقد اجترءوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم

﴿ حوادث ﴾

وفى هذا العام ولدا لحسين بن على (وفيه) توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين (وفيه) توفى أبو سلمة رضى الله عنه ابن عمة رسول الله وأخوه من الرضاعة وأول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوجَ أبي سلمة بعد وفاته

﴿ السنة الخامسة غزوة دُومة الجندل ﴾

في ربيع الاول من هذا العام بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم ان جمعا من الاعراب بدومة الجندل (١) يظلمون من

(١) مدينة بينها و بين دمشق خمس ليال و بينها و بين طيبة خمس عشرة ليلة

مربهم وانهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوهم وخرج في ألف من أصحابه بعد أن ولى علي المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون علي ما شيتهم ورعائهم فأصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجد منهم أحداً فرجع عليه السلام غانما وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزارى وهو الذي كان يسميه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان يتبعه الف قناة وأقطعه عليه السلام أرضا يرعى فيها بهمه علي بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لان أرضه كانت قد أجدبت

﴿ غزوة بنى المصطلق ﴾

في شعبان بلغه عليه السلام ان الحارث بن ضِرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشاً علي حرب المسلمين في أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام فى جمع كثير وولى علي المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم

سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط فى غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا وفى أثناء مسيره عليه السلام التقي بعين بنى المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله . ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجىء المسلمين لحربه وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفا شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع(١) تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا الرجل من عدوهم مجالا للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشياه وكانت الابل ألفي بعير والشياه خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة وكان فى نساء المشركين برّة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مئتا بيت أسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بني المصطلق من أعز العرب

---

(١) ماء لخزاعة على يوم من الفرع

دياراً فأسر نسائهم بهذه الحال صعب جداً فأراد عليه السلام أن يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج برة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا فمنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق على بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم (وقد) حصل في هذه الغزوة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا بالتفريق على المسلمين (فأولاهما) أن أجيراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فأقبل الذين من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية (وهي ما يقال في الاستغاثة يالفلان) فأخبر الخبر فقال دعوا هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن

أبيّ هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها نافرونا فى ديارنا والله ما نحن والمهاجرون الا كما قال الاول سمن كابك يأكلك أما والله (لئن رجعنا الى المدينة ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ). ثم التفت الى من معه وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضا للمنايا دون محمد فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا. فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده وكان فى مجلسه شاب حديث السنّ قويّ الاسلام اسمه زيد بن أرقم فأخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال ياغلام لعلك غضبت عليه فقلت ماقلت. فقال والله يارسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول فى قتل ابن أبيّ أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال كيف ياعُمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتدّ الحر يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس عن التكلم فى هذا

الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت فقال أو ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياما وكلم رجال من الانصار عبد الله بن أبيّ فى أن يطلب من الرسول الاستغفار فلوّى رأسه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبيّ واخوانه وصدقت زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبيّ استأذن رسول الله فى قتل أبيه حذراً من أن يكاف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان واحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى أبيه

حديث الافك

(النادرة الثانية) وهي أفظع من الاولى وأجلب منها للمصائب وهي رمي عائشة الصديقة زوج رسول الله بالافك

فاتهموها بصفوان بن المعطّل السلمى وذلك أنهم لما دنوا من المدينة أذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة قدمضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلتمس عقدها فحبسها ابتغاؤه فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه لان النساء كن اذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عيناها فنامت وكان الذي يسير وراء الجيش يفتقد ضائعه صفوان بن المعطل فاصبح عند منزلها فعرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابهافأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا فى عائشة وصفوان والذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبى ولما قدموا المدينة

مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون فى قول أهل الافك وهى لا تشعر بشىء وكانت تعرف فى رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيبا منها فى هذا المرض بل كان يمر على باب الحجرة لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها فى ريب عظيم فلما نقهت خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الافك للتبرز خارج البيوت فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت ياهنتاه أو لم تسمعى ماقالوا فسألتها عائشة عن ذلك فاخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض فى بيت أبيها فاذن لها فسالت امها عما يقول الناس فقالت يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها فقالت عائشة سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفى خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك ولا نعلم

عليهم الا خيراً وقال علي بن أبي طالب لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل رأيت من شيء يريبك فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن فتأكله فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي الا خيراً ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيراً وما يدخل على أهلي الا معي فقال سعد بن معاذ أنا يارسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أنه يقتل فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الاوس والخزرج لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما عائشة فبقيت

ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . وبينما هي مع أبويها اذ دخل النبي عليه السلام فسلم ثم جلس فقال أما بعد ياعائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فتقلص دمع عائشة وقالت لأبويها أجيبا رسول الله فقالا والله ما ندري ما نقول فقالت انى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنّى فوالله لا أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف قال (فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ماتصفون) ثم تحوّلت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقية (ان الذين جاؤا بالافك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هوَ خيرٌ لكم لكل امرئٍ منهم ما اكتسبَ من الاثمِ والذي تولى كبرهُ منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون

والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين. لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم . يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها أمها قومي فاشكري رسول الله

فقالت لا والله لا أشكر الا الله الذي برأني وبعد ذلك أمر عليه السلام بأن يجلد من صرح بالافك ثمانين جلدة وهى حد القاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بل نحب ذلك يا رسول الله وأعاد النفقة على مسطح . فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن فمتى رأوا بابا لها ولجوه فنعوذ بالله منهم

غزوة الخندق

لم يقر لعظماء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وإرث المسلمين لها بل كان فى نفوسهم دائما أن يأخذوا ثارهم ويستردوا بلادهم فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء

قريش وحرضوهم على حرب رسول الله ومنوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولا لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحا فتجهزت قريش واتباعها يرأسهم أبو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدرى وعددهم أربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس وألف بعير وتجهزت غطفان يرأسهم عيينة بن حصن الذي جازى احسان رسول الله كفرا فانه كما قدمنا أقطعه أرضا يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه وكان معه ألف فارس وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث ابن عوف المرى وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن رخيلة وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة ابن خويلد الاسدى وعدة الجميع عشرة آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام أخبار هاته التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا

الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا في حفره شمالى المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هى الجهة التي كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات جسيمة فى حفر الخندق لانهم لم يكونوا فى سعة من العيش حتى يتيسر لهم العمل وعمل معهم عليه الصلاة والسلام فكان ينقل التراب متمثلا بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا وان أرادوا فتنة أبينا

وأقام الجيش فى الجهة الشرقية مسندا ظهره الى سلع وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الأسيال وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان

المشركون معجبين بمكيدة الخندق التى لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبى جهل وعمرو بن ودّ وآخرون وقد برز على بن أبى طالب لعمرو ابن ودّ فقتله وهرب اخوانه وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورُمي) سعد بن معاذ رضى الله عنهُ بسهم قطع أكحله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوما كاملا حتى فاتت المسلمين صلاة ذاك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراسا حتى لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلمة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدهم الخير أما المنافقون فقد أظهروا فى هذه الشدة ما تكنهُ ضمائرهم حتى قالوا (ماوعدَنا اللهُ ورسولهُ الاّ غروراً) وانسحبوا قائلين ان بيوتنا عورة نخاف أن يغير عليها العدوّ (وما هي بعورة ان يريدون الافراراً) واشتدّت الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة والذي زاد الشدة عليهم

مابلغهم من أن يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود وسبب ذلك أن حيي ابن أخطب سيد بنى النضير المجلين توجه الى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وكان له كالشيطان اذ قال للانسان اكفر فحسن له نقض العهد ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ولما بلغت هذه الاخبار رسول الله أرسل مسلمة بن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفا على النساء والذراري وأرسل الزبير بن العوّام يستجلى له الخبر فلما وصلهم وجدهم حانقين يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين أمامه فرجع وأخبر الرسول بذلك وهنالك اشتدّ وجل المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً لان العدوّ جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون عما بدالهم فأراد عليه السلام أن يرسل لعيينةَ بنِ حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان فابى الانصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا قليلا من ثمرنا ونحن كفار

أفبعد الاسلام يشاركوننا فيها. واذا أراد الله العناية بقوم هيأ لهم أسباب الظفر من حيث لا يعلمون فانظر الى هذه العناية من الله بالمتمسكين بدينه القويم. جاء نعيم بن مسعود الاشجعي وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يارسول الله اني قد أسلمت وقومي لا يعلمون باسلامي فمرني بامرك حتى أساعدك فقال أنت رجل واحد وما ذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة

﴿ الخدعة في الحرب ﴾

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم فقال يابني قريظة تعرفون ودّي لكم وخوفي عليكم واني محدثكم حديثا فاكتموه عني قالوا نعم فقال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا لبلادهم وأما أنتم فتساكنون الرجل (يريد

الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدكم فأرى أن لا تدخلوا فى
هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان انهم لن يتركوكم
ويذهبوا الى بلادهم بان تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً
منهم فاستحسنوا رأيه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم
وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودى
لكم ومحبتي اياكم وانى محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا
نفعل فقال لهم ان بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد
وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيك
أن نأخذ جمعاً من أشرافهم ونعطيهم لك وترد جناحنا الذى
كسرت (يريد بنى النضير) فرضي بذلك منهم وهاهم مرسلون
اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفا ثم أتى غطفان
فاخبرهم بمثل ما أخبر به قريشاً فارسل أبو سفيان وفداً لقريظة
يدعوهم للقتال غدا فأجابوا انا لا يمكننا أن نقاتل فى السبت
(وكان ارساله لهم ليلة سبت) ولم يصبنا ما أصابنا الا من
التعدي فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى
لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت قريش وغطفان كلام

نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب نخاف بعضهم بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله دعاءه عليه السلام فأرسل على الاعداء ريحا باردة فى ليلة مظلمة نخاف العرب أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم فى الليلة المدلهمة فأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح . ولما سمع عليه السلام الضوضاء فى جيش العدو قال لأصحابه لا بد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتي كرر ذلك ثلاثا وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال عليه السلام تسمع صوتى منذ الليلة ولا تجيب فقال يارسول الله البرد شديد فقال اذهب فى حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم نخاطر رضي الله عنه بنفسه فى خدمة نبيه حتي اطلع على جلية الخبر وان الاعداء عازمون على الرحلة

﴿ هزيمة الاحزاب ﴾

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول

لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده جذراً من أن يدخل بينكم عدو وقد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتي لا يدهموا من ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التى تحزب فيها الاحزاب من عرب ويهود على المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منة منه وفضلا لساءت الحال . وكان جلاء الاحزاب فى ذي القعدة وكان حقا على الله أن يسميه نعمة بقوله فى سورة الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا ذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً . وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الاغروراً . وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام

لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا)

غزوة بني قريظة

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللحاق ببني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لاصحابه لا يصلين أحدمنكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكبا على حمارة ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته فلم يعنف فريقا منهم (ولما) رأى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة

وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدو آخر ولكن أنى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة فلما رأوا ان لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين أن ينزلوا على مانزل عليه بنو النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا أن يجلوا بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لابد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيرا كان أو شرا فقالوا له ارسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان اوسيا من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال فلما توجه اليهم استشاروه فى النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا وأومأ بيده الى حلقه يريد ان الحكم الذبح . ويقول أبو لبابة لم أبارح موقفي حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصدا المدينة خجلا من مقابلة رسول الله وربط نفسه فى سارية من سواري المسجد حتى يقضى الله فيه أمره . ولما سأل عنه عليه السلام اخبر بما فعل فقال اما انه لوجاءني لاستغفرت له

أما وقد فعل ما فعل فنتركه حتى يقضى الله فيه . ثم ان بنى قريظة لما لم يروا بدا من النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا فجاءه رجال من الاوس وسألوه أن يعاملهم كما عامل بنى قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم ألا يرضيكم أن يحكم عليهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحا من السهم الذي أصيب به فى الخندق وكان مقيما بخيمة فى المسجد معدة لمعالجة الجرحى : فأرسل عليه السلام من يأتى به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له أحسن فى مواليك ألا ترى ما فعل ابن أبيّ فى مواليه فقال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . ولما أقبل على الرسول وأصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فأنزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التى ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال

وعلى من هنا كذلك وهو غاضّ طرفه اجلالا فقالوا نعم قال فانى أحكم أن تقتل الرجال وتسبي النساء والذرية فقال عليه السلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد) لان هذا جزاء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت ألفاً وخمسمائة سيف وثلثمائة درع والفي رمح وخمسمائة ترس وحجفة ووجد اثاثا كثيراً وآنية واجمالا نواضح وشياها فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل ثلث الفارس وأعطى النساء اللاتى كنّ يمرضن الجرحى ووجد فى الغنيمة جرار خمر فأريقت . وبعد تمام هذا الامر انفجر جرح سعد ابن معاذ فمات رضى الله عنه وأرضاه كان فى الانصار كأبى بكر فى المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام يحبه كثيراً وبشره بالجنة على عظيم أعماله (وعقب) رجوع المسلمين الى المدينة تاب الله على أبي لبابة بقوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسي الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت له فيها هذه الزلة

وبتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها وهم الذين كانوا السبب فى اثارة الاحزاب وسيأتي للقارئ قريبا اليوم الذي يعاقبون فيه

زواج زينب بنت جحش

وفى هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأمها أميمة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها لزيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها فى الشرف العظيم فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالى ويعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف فلما نزل قوله تعالى فى سورة الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) لم يروا بداً من القبول فلما دخل عليها زيد

أرته من كبريائها وعظمتها ما لم يتحمله فاشتكاها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فأخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك . ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضربا من العبث أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها حسما لهذا الشقاق من جهة وحفظا لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب له فى زواجه بزوج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى فى نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بابطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج المتبنى بقوله فى سورة الاحزاب (فلما قضي زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) ثم ان الله حرم التبنى على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه فى سورة الاحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد ابن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على

مر الدهور والاعوام . يقول المؤرخون وذوو المقاصد السافلة منهم فى هذه القصة أقوالا لا تجوز الا على من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة مايقول فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأي زوجه مصادفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلمت قديما ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت عمته الاحينما رفعت الريح الستر مصادفة ورسول الله هو الذي زوجها زيداً فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك . ومن منا يتصور ان السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله فى سورة الحجر المكية (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً

منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجه مصادفة ثم يشتهي زواجها ان هذا لامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على انه أحسن الناس خلقا وأبعدهم عن الدنايا وأشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن (وانك لعلى خلق عظيم) لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة في أن الحقيقة ما نقلناه لك أولا وهو الذى يستفاد من القرآن الشريف قال تعالى فى سورة الاحزاب (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) والذى أبداه الله هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن أعظم شاهد

الحجاب

وفيه نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو أُطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل فى سورة الاحزاب (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم أتُنهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فنزل بعد الآية المتقدمة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن أن لا يبدين زينتهن للاجانب الا ما ظهر منها كالخاتم فى الاصبع والخضاب فى اليد والكحل فى العين . أما ما خفي منها فلا يحل ابداؤه كالسوار للذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للأذن والمراد

بالزينة الظاهرة والخفية مواضعها . وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النساء اذ ذاك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن . ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال وإذا كان النهى عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ قال تعالى فى سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (وكان) النساء في أول الاسلام كما كن في الجاهلية

متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فرق بين الحرة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زيّ الاماء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليغطي الوجه والاعطاف ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع قال تعالى في سورة الاحزاب (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما) (أما) حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوئام بين الزوجين في أمر أجمع عليه أئمة الدين قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء (وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينهما

أي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة والبشره الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام ان في أعين الانصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازاً من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم) ولا يبعد أن يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التى تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسنا عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقا حسما للمفاسد ودرءاً للفتنة

﴿ فرض الحج ﴾

(وفي هذا العام) على ما عليه الاكثرون فرض الله على الامة الاسلاميه حج البيت من استطاع اليه سبيلا ليجتمع المسلمون من جميع الاقطار فيتجهوا الى الله ويبتهلوا اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفي ذلك من

السنة السادسة

(سرية)

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على بنى بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضريه (١) فسار اليهم يكمن النهار ويسير الليل حتي دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية النعم والشياه وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثمامة بن أثال الحنفي من عظماء بنى حنيفة فأسروه وهم لايعرفونه فلما أتوا به رسول الله عرفه وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق إساره بعد ثلاث أبى فيها الانقياد للاسلام بعد ان عرض عليه ولما رأى ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العبث ان يتبع هواه ويترك دينا عماده المحامد فرجع الى رسول الله واسلم غير مكره

(١) - موضع على سبع ليال من المدينة فى طريق البصرة

وخاطب الرسول بقوله (يا محمد والله ما كان على الارض من وجه أبغض الىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الىّ والله ما كان على الارض من دين ابغض الىّ من دينك فقد أصبح أحب الدين كله الىّ والله ما كان من بلد أبغض الىّ من بلدك فقد أصبح أحب البلاد الىّ) فسر عليه السلام كثيراً باسلامه لان من ورائه قوما يطيعونه ولما رجع ثمامة الى بلاده مر بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التى منها ثمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو أن لا يرسل اليهم من اليمامة حبوبا حتى يؤمنوا فجهدوا جدا ولم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والمرحمة وأرسل لثمامة أن يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل الكريم الاصل قدم راسخة فى الاسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم وامرا مظلما لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضى الله عنه

﴿ غزوة بنى لحيان ﴾

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزينا عليهم متشوفا للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هى عادته عليه السلام فى غالب الغزوات لتعمي الاخبار عن الاعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار فى مائتى راكب معهم عشرون فرسا ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع بهِ بنو لحيان تفرقوا فى الجبال فاقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحدا ثم أرسل بعضا من أصحابه ليأتوا عسفان(١) حتى يعلم بهم أهل مكة فيداخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغَمِيم (٢) ثم رجع عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال)

---

(١) موضع قرب مكة

(٢) جبل جنوب عسفان بثمانية أميال

﴿ غزوة الغابة ﴾

كان للنبي عليه السلام عشرون لقحــة ترعى بالغابة (١) فأغار عليها عيينة بن حصن في أربعين راكبا واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الاكوع أحد رماة الانصار وكان عـدّاء فأمره الرسول بأن يخرج فى أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعـل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هاربا فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعض المضايق علا الجبل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيراً ممـا بأيديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فأجابوه وأول من انتهى اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج في طلب القوم حتى ألحقك وأعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدوّ فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ

---

(١) موضع على بريد من المدينة جهة غطفان

المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة ابن الاكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة فى أثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكت فأسجح) ثم رجع بعد خمس ليال

سرية

كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً ما يؤذون من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن فى أربعين راكبا ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلا نائما فأمنوه ليدلهم على نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيدا

سرية

وفى ربيع الاول بلغه عليه السلام أن من بذي القصة (١) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التى ترعى بالهيفاء (٢) فأرسل

---

(١) موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة في طريق الربذة

(٢) موضع قرب المدينة

لهم محمد بن مسلمة فى عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلا وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبـل قد خالطهم فتواثبوا على أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الاعداء فقتلوهم غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم أنه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح فى ربيع الآخر ليقتص من الاعـداء فلما وصل ديارهم وجـدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

﴿ سرية ﴾

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين فى غزوة الخندق المسلمين فى سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة فى ربيع الآخر ليغـير عليهم فى الجموم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجـدوا هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بنى سليم فأصابوا بها نعما وشاء ووجدوا رجالا أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة فوهب الرسول

(١) ناحية من بطن نخل

لهذه المرأة نفسها وزوجها .

﴿ سرية ﴾

بلغ الرسول أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد بن حارثة فى مائه وسبعين راكبا ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة فاستجار بزوجه زينب فاجارته ونادت بذلك فى مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجرت) وهذا أبلغ ما قيل فى المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله باسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه .ورجع الى المدينة مسلما فرد عليه رسول الله زوجه

﴿ سرية ﴾

وفى جمادى الآخرة .أرسل عليه السلام زيد بن حارثة فى خمسة عشر رجلا للاغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب

محمد بن مسلمة وهم مقيمون بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ولما رآهم الاعداء ظنوهم طليعة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

﴿ سرية ﴾

وفى رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بنى فزارة لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين فى وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدى بها أسيراً كان بمكة

﴿ سرية ﴾

وفى شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف

---

(١) ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة فى طريق العراق

(٢) موضع شمالى المدينة

مع سبعمائة من الصحابة لغزو بني كلب فى دومة الجندل (١) وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله (اغزوا جميعاً فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعوهم الى الاسلام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الاصبغ ابن عمرو النصرانى وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين باعطاء الجزية فتزوج عبدالرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه السلام وهذه أقرب واسطة لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهم كلا مايهم الآخر فنعماهي سياسية السلم والمحبة

﴿ سرية ﴾

وفى شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبى طالب فى مائة لغزو بنى سعد بن بكر بفدك (٢) لانه بلغه أنهم يجمعون

---

(١) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليلة

(٢) قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر

الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو أرسلوه الى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدلهم على القوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير وألفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يعدوا اليهود بشيء

﴿ قتل أبي رافع ﴾

وكان المحرك لأهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم أبو رافع سلام بن أبي الحُقَيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة فى التجاره وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر اخوانهم من الاوس الذين قتلوا كعب بن الاشرف فان من نعم الله على رسوله ان كان الاوس والخزرج يتفاخرون

عما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تعمل الأوس عملا الا اجتهد الخزرج في مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن وصاهم أن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر فقال عبد الله لاصحابه مكانكم فانى منطلق للبوّاب ومتلطف له لعلي ادخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البوّاب ادخل يا عبد الله ان كنت تريد الدخول فانى أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن حتى نام البوّاب فاخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الابواب التى توصل اليه وكلما فتح بابا أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا أبا رافع قال من فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت امرأته هذا صوت ابن أبى عتيك فقال لها ثكلتك امك وأين ابن أبي عتيك الآن فعاد عبد الله للنداء مغيراً صوته قائلا ما هذا الصوت الذي نسمعه يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى بالسيف فعمد اليه فضربه أخرى لم تغن

شيئاً فتوارى ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقيا على ظهره فوضع السيف فى بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله فعصبها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال النجاة قتل والله أبو رافع فانتهوا الى الرسول فحدثوه. ثم قال لعبد الله أبسط رجلك فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب مادامت في ارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضى الله عنهم وأرضاهم.

سرية

(ولما) قتل كعب ولى اليهود مكانه أسير بن رزام فأرسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد مالم يصنعه أحد قبلى أسير الى غطفان فأجمعهم لحربه وسعى فى ذلك فارسل له عليه السلام عبد الله بن رواحة الخزرجى فى ثلاثين من الانصار لاستمالته فخرجوا حتى

قدموا خيبر وقالوا لأسير نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولى مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله ويترك ما عزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج فى ثلاثين يهوديا كل يهودي رديف لمسلم وبينما هم فى الطريق ندم أسير على مجيئه وأراد التخلص مما فعل بالغدر بمن أمنوه فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة فقال له أغدراً يا عدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فاطاح عامة فخذه ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوهم عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

﴿ قصة عُكل وعُرينة ﴾

قدم على رسول الله فى شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فامر لهم عليه السلام بذود من الابل معها راع وأمرهم باللحوق بها فى

مرعاها ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا . ولما تم شفاؤهم جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعي ومثلوا به . واستاقوا الابل فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم كرز بن جابر الفهري فى عشرين فارسا فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما جيء بهم الى المدينة أمر عليه السلام بان يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتى ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذي لا ينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الاصل ولؤم العشيرة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن المثلة

﴿ سرية ﴾

جلس أبو سفيان بن حرب يوماً في نادى قومه فقال ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدراً فانه يمشى بالاسواق لنستريح منه فتقدم له رجل وتعهد له بما أراد فأعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه وهو بمسجد بني عبد

الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان هذا الرجل ليريد غدراً وان الله مانعى منه فذهب لينحنى على الرسول فجذبه أسيد ابن حضير من ازاره وهنالك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فخلى عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يامحمد ما كنت أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ماهممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبى سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمرى وكان رجلا جريئا فاتكا فى الجاهلية وأصحبه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجها ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلا له فعرف عمراً أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ما جاء الا بشر فلما رآهم علموا به لم يجد مناصا من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكأن الله سبحانه أراد أن يعيش أبوسفيان حتي يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتنق

الدين الحنيفي القويم

﴿ غزوة الحديبية ﴾

رأى عليه السلام فى نومه أنه دخل هووأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستنفر الاعراب الذين حول المدينةليكونوامعه حذراً من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاءالاعراب أبطؤا عليه لانهم ظنوا أن لا ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وتخلصوا بان قالوا شغلتناأموالناوأهلونا فاستغفرلنافخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والانصار تبلغ عدتهم الفا وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج معه زوجه أم سلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس أنه لم يأت محاربا ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح الاالسيوف فى القُرب لان الرسول لم يرض أن يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتي وصل عُسفان (١) فجاءه عينه يخبره أن قريشا أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وأن لا يدخلوها

(١) موضع على مرحلتين من مكة

عليهم عنوة أبداً وتجهزوا للحرب وأعدوا خالدبن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا يارسول الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم الى مستو سهل بتلك مكة من أسفلها فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بثنية المرار (١) بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ما خلأت وماذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل. والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله الا أجبتهم اليها . مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيديَ المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذي أراد الله أن يكون حرما آمناً يوطد المسلمون من جميع الاقطار دعائم

(١) مهبط الحديبية

إخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول أقصى الحديبية (١)
وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولا من قريش يسأل
عن سبب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما
رجع بديل الى قريش وأخبرهم بذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة
الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لأجداده. وقالوا أيريد محمد
أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل
علينا عنوة وبيننا وبينه من الحروب ما بيننا والله لا كان هذا أبدا
ومنا عين تطرف ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الاحابيش
وهم حلفاء قريش فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون
الهدي ابعثوه في وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون
فلما رأى ذلك حليس رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء
أن يصدوا أيحج لخم وجذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد
المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين
فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابي
لا علم لك بالمكايد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد

---

(١) بئر قرب مكة سميت الارض باسمها

أهل الطائف فتوجه الى رسول الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت الى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم أنها قريش قد خرجت تعاهد الله ان لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فنال منه أبو بكر وقال نحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوءا الا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا اخفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه فقال والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في عظمته فما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا ويرجع الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولاً من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول في زيارة

أقاربهم وأمر عليه السلام عثمان أن يأتى المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان مكة فى جوار أبان بن سعيد الاموى فبلغ ماحمل فقالوا ان محمدا لايدخلها علينا عنوة أبدا ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاع عند المسلمين ان عثمان قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك لانبرح حتى نناجزهم الحرب

(بيعة الرضوان)

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك(١) (سميت بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاع أمر هذه البيعة فى قريش فداخلهم منها رعب عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين علهم يصيبون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم اثنا عشر

(١) أمر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها فليتأمل

رجلا وقتل من المسلمين واحد

﴿ صلح الحديبية ﴾

وعنـد ذلك خافت قريش وأرسلت سـهيل بن عمرو للمكالمة فى الصلح فلما جاء قال يا محمد ان الذي حصل ليس من رأي عقـلائنا بل شئ قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى ترسلوا من عندكم وعنـدئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معـه ثم عرض سهيل الشروط التي تريدها قريش وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السـلاح الا السيف فى القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل فى عهد محمـد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى عهـد قريش دخل فيـه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط . أما المسلمون فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا

سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلما ولا يردون من جاءهم مرتداً فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا .

أما الامر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً في قلوبهم لان الرسول أخبرهم أنه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضي الله عنه وهل ذكر أنه في هذا العام . ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن أبي طالب فأملاه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هـذا ما صالح عليـه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك . اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيـده . وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جنـدل بن سهيل يحجـل في قيوده وكان من المسلمين الممنوعـين من الهجرة فهرب للمسلمين هـذه المرة ليحموه

فقال عليه السلام اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهدا فلا نغدر بهم . هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو بكر في عهد قريش

ولما انتهى الامر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رءوسهم وينحروا الهدي ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هما عظيما حتى انهم لم يبادروا بالامتثال فدخل عليه السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يارسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمرا عظيما في الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن اخرج يارسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فتقدم عليه السلام الى هديه فنحره ودعا بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون تواثبوا على الهدي فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر ولما قر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم

بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان لامه فطلبها المشركون فقالت يارسول الله انى امرأة وان رجعت اليهم فتنونى فى دينى فأنزل الله فى سورة الممتحنة (ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بأيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولاجناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وماخرجت الا حبا لله ولرسوله ومتى حلفت لا ترد بل يعطي لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ويجوز للمسلم تزوجها وفى الآية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد الى أهليها بعد أن يعطوا ما أنفقوا عليها (وقد تمكن) أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي رضي الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه

السلام بالرجوع معهما فقال يارسول الله أتردني الى الكفار يفتنوني في ديني بعد أن خلصني الله منهم فقال ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجا فلم يجد بداً من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يارسول الله وفت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فأقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الاعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الامداد فأرسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في ابطال هذا الشرط ويعطونه الحق في امساك من جاءه مسلما فقبل منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما أمرهم عليه السلام برد أبي جندل وعلموا أن رأي رسول الله أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم

حتى قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح فى الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد. وفى رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه فى أولها (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وفى تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمنا لك عن الصديق

مكاتبة الملوك

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام واتخذ اذ ذاك خاتما من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك ·

كتاب قيصر

وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد

ابن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (١) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

حديث أبي سفيان

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش في تجارة فجاءت رسل قيصر لابي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن في الركب من بنى عبد مناف غيره فقال قيصر ادن منى ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف ظهره ثم قال لترجمانه

---

(١) الفلاحين

قال لأصحابه انما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي
يزعم أنه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه
اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم . قال هو فينا
ذو نسب . قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لا .
قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قال لا .
قال فهل كان من آبائه من ملك قال لا . قال فاشراف الناس
يتبعونه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم . قال فهل يزيدون أم
ينقصون قال بل يزيدون. قال هل يرتد أحدمنهم سخطة لدينه
قال لا. قال هل يغدر اذا عاهد قال لا . ونحن الآن منه في ذمة
لا ندري ماهو فاعل فيها. قال فهل قاتلتموه قال نعم. قال فكيف
حربكم وحربه قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا
قال فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به
شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق
والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة. فقال الملك اني سألتك عن
نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب
قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فزعمت

ان لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل . وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم . وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبتلي ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك بماذا يأمر فزعمت انه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبي وقد علمت انه مبعوث ولم أظن انه فيكم وان كان ما كلمتني به حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم انى أخلص اليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان

فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبوسفيان مع أصحابه قال لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الاصفر . ولما صار قيصر الى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم علي فقال لهم انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم فسكتوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب بإثمه وإثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه ردّ دِحية ردا جميلا

كتاب أمير بصري

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصرى فلما بلغ مؤتة وهي قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له أين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فضربت عنقه

ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً

﴿ كتاب الحارث بن أبي شمر ﴾

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي مني واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع اخبر صاحبك بما ترى ثم أرسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره أن يهيئ بايليا ما يلزم لزيارته فانه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

﴿ كتاب المقوقس ﴾

ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له حاطب بالاسكندرية فلما قرأه قال مامنعه ان كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده فقال حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور والاخبار بالنجوى وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله

الرحمن الرحيم) لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وبثياب وأهديت اليك بغلة تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التى تسرى بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والاخرى أعطاها لحسان بن ثابت ولم يسلم المقوقس

﴿ كتاب النجاشي ﴾

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمري بكتاب الى النجاشي ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلام أما بعد فاني أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له

والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عزوجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو انى أعلم والله ان عيسى بشر به ولكن أعوانى بالحبشة قليل فأنظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب . وقد عرض عمرو على من بقى من مهاجري الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذي كان أسلم وهاجربها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج عليه السلام أم حبيبة وهي بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه عليه السلام

﴿ كتاب كسري ﴾

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السَّهميّ بكتاب الى كسرى ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع

الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكبارا ولما بلغه عليه السلام ذلك قال (مزق الله ملكه كل ممزق) وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطا وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن أن يوجه الى الرسول من يأتى به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله له ثم أرسل لعامل اليمن ينهاه عما أمره به أبوه

﴿ كتاب المنذر بن ساوى ﴾

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم)أسلم أنت فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو أما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من أحب ذلك

من المجوس فانه آمن ومن أبى فان عليه الجزية) فأسلم وكتب
فى رد الجواب (أما بعد يارسول الله فاني قرأت كتابك
على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل
فيه ومنهم من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فأحدث الى فى
ذلك أمرك) فكتب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك
فاني أحمد الله اليك الذي لا إله الا هو وأشهد أن لا إله الا
الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل
فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع
أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى
قد أثنوا عليك خيراً وانى شفعتك في قومك فاترك للمسلمين
ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك
مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو
مجوسيته فعليه الجزية)

﴿ كتاب ملكي عمان ﴾

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جَيْفَر

وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما انأقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما فان ملككما زائل وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملكيكما)

فلما نزل بناديهما عمرو سأله عبد بن الجلندي عما يأمر به الرسول وينهى عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير تابعاً قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله

من الصدقات في الاموال ولما ذكر المواشي قال ياعمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم . فقال عبد والله ما أرى قومي على بعد دراهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمراً لأخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات

﴿ كتاب هوذة بن علي ﴾

ووجه عليه السلام سَلِيط بن عمرو العامري بكتاب الى هوذة بن علي ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك) فلما جاءالكتاب كتب فى رده (ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لو سألنى قطعة من الارض ما فعلت باد وباد ما فى يديه فلم يلبث أن مات منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وكان عليه السلام يولى على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

﴿ السنة السابعة غزوة خيبر ﴾

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر الذين كانوا أعظم مهيج الأحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق والذين لا يزالون مجتهدين في محالفة الاعراب ضد رسول الله كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معي الا رغبة في الجهاد أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً وأمر مناديا ينادي بذلك ثم خرج عليه السلام بعد أن ولى على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري وكان معه من أزواجه أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليه السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثة منفصلاً بعضها عن بعض وهي حصون النطاة وحصون الكتيبة وحصون الشق والاولى ثلاثة : حصن

ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبى
وحصن البريء والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص وحصن
الوطيح وحصن السلالم فبدأ عليه السلام بحصون النطاة
وعسكر المسلمون شرقيها بعيداً عن مدى النبل وأمر عليه
السلام أن يقطع نخلهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون
نحو أربعمائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على
الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالمراماة
وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع فى ذلك
اليوم شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة
وصار عليه السلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة
ويخلف على العسكر أحد المسلمين حتى اذا كانوا فى الليلة
السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب بيهودي خارج
فى جوف الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ولما أدرك
الرجل الرعب قال ان أمنتموني أدلكم على أمر فيه نجاحكم .
فقالوا دلنا فقد أمناك .فقال ان أهل هذا الحصن أدركهما الملال
والتعب وقد تركتهم يعثون بأولادهم الى حصن الشق

وسيخرجون لقتالكم غداً فاذا فتح عليكم هذا الحصن غداً فاني أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام لمحمد بن مسلمة سأعطي الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتى قال عمر بن الخطاب ما تمنيت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد سأل عليه السلام عن على بن أبى طالب فقيل له انه أرمد فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل فى عينيه فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء ثم أعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودي يطلب البراز فقتله علي ثم خرج مرحب وهو أشجع القوم فألحقه برفيقه فخرج أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة

---

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها.

وانهزم الاعـداء الى الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود الى حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالا شديداً حتى رد عنه المسلمون ولـكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالا شديداً حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى افتتحوا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام مناديا يقول كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخـذوا شيئاً . ثم ان ان الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة أيام حتي استصعب عليهـم فتحه وفى اليوم الرابع دلهم يهودى على جداول الماء التى يستقى منها اليهود فمنعوها عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالا شديداً انتهى بهزيمتهم الى حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤوا بحصن أبى فخرج أهله وقاتلوا قتالا شديداً أبلى فيه أبو دُجانة الانصاري بلاء حسناً حتى تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيه أثاثا كثـيراً ومتاعا وغنما وطعاما وهرب المنهزمون منـه الى حصن البرىء فتمنعوا به أشـد التمنع وكان أهله أشد اليهود

رميا بالنبل والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه
فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع فى قلب أهله الرعب
وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون أواني
لليهود من نحاس وفخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوا
فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى حصون الكثيبة وبدؤوا
بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد
علي بن أبى طالب ومنه سبيت صفية بنت حي بن أخطب
ثم سار المسلمون لحصار حصني الوطيح والسلالم فلم يقاوم
أهلهما بل سلمو طالبين حقن دمائهم وأن يخرجوا من أرض
خيبر بذراريهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوبا واحداً على
ظهره فأجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين
الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس
عربية ووجدوا صحفا من التوراة فسلموها لطالبها وقد أمر عليه
السلام بقتل كنانة بن أبى الحقيق لانه أنكر حلي حي بن أخطب
وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها أساور ودمالج وخلاخيل
وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد وغير ذلك

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلا وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلا وفى هذه الغزوة أهدت احدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث علم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان نبيا لن يضره وان كان كاذبا أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

زواج صفية

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حيي سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضى الله عنها فشرفت بأمومة المؤمنين

النهى عن نكاح المتعة

(ونهى) عليه السلام وهو بخيبر عن نكاح المتعة وهي النكاح لاجل وقد كان حلا فى الجاهلية واستعمل فى بدء الاسلام حتى حرمه الشرع في هذه السنة (ونهي) كذلك

عن أكل لحوم الحمر الاهلية فأكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها

رجوع مهاجري الحبشة

(وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسي وقومه بعد أن أقاموا فيها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بقدمهم فرحا عظيما وأعطى للأشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحا وكان مع جعفر أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين (وقدم) فى هذا الوقت على النبي عليه السلام الدوسيون اخوان أبى هريرة رضى الله عنه وهو معهم فأعطاهم أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتح فدك

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود فَدَك (١) الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ويتركوا الاموال وكانت أرض فدك هذه لرسول

(١) حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة

الله خاصة ينفق منها على نفسه ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم

صلح تيماء

ولما بلغ يهود تيماء (١) ما فعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين

فتح وادي القرى

ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون وأصابو منهم أحد عشر رجلا وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الارض في أيدي أهلها يزرعونها بشطر ما يخرجون منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبد الله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولأنتم أبغض الىّ من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه على أن لا أعدل (هذا) وبانقياد جميع اليهود

---

(١) قرية على ثمان مراحل من المدينة

المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

اسلام خالد ورفيقيه

وأعقب هذه الغزوة وهـذا الفتح المبين اسـلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى فى قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد بن الوليد المخزومى وعمرو بن العاصى السهمى وعثمان ابن أبي طلحة العبدرى فسر بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال لخالد (الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خـير) فقال يارسول الله ادع الله لى أن يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)

سرية

وفى شعبان بلغه عليه السلام أن جمعا من هوازن بتربة (١) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهـم عمر بن الخطاب فى

---

(١) واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها

ثلاثين رجلا فسار اليهم ولما وبلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحداً فرجع

﴿ سريه ﴾

(ثم) أرسل بشير بن سعد الانصاري لقتال بني مرة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً فاخذنعمهم أما القوم فكانوا فى الوادي فجاءهم الصريخ فادركوا بشيراً ليلا وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح الصبح اقتتل الفريقان قتالا شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحا شديدا حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفى رمضان) أرسل عليه السلام غالب بن عبيد الله الليثي الى أهل الميفعة (١) فى مائة وثلاثين رجلا فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضا واسروا آخرين وفى أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلا من المشركين ولما رأى المشرك الموت فى يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه انما قال ذلك تخلصا فقتله ولما رجع المسلمون

---

(١) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

الى المدينة وأخبر عليه السلام بفعلة أسامة قال أقتلته بعد ان قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله قال يا رسول الله انما قالها متعوذا من القتل قال عليه السلام فهلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال يارسول الله استغفر لى قال عليه السلام فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى تمني اسامة أنه لم يسلم قبل ذلك اليوم وأنزل الله فى ذلك في سورة النساء (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم أمر عليه السلام أسامة أن يعتق رقبة كفارة لانه قتل خطأ .

﴿ سرية ﴾

(وفى) شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريبا من خيبر بارض اسمها يمن وجبار للاغارة على المدينة فارسل لهم بشير بن سعد فى ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى أتوا محالتهم فاصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء فاخبروا قومهم ففزعوا ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون الا

برجلين أسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة

﴿ عمرة القضاء ﴾

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه فيها ليقضى عمرته واستخلف على المدينة اباذر الغفارى وساق معه الهدى ستين بدنة واخرج معه السلاح حذرا من غدر قريش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد وأحرم عليه السلام من باب المسجد المدنى ولما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل يارسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تحمله فقال عليه السلام لا ندخل الحرم به ولكن يكون قريبا منا فان هاجنا هائج فزعنا له فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فاخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يامحمد ما عرفت بالغدر صغيرا ولا كبيرا وانا لم نحدث حدثا فقال انا لا ندخل الحرم بالسلاح ولما حان وقت دخوله مكة خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثنية كداء وامامه عبد الله بن رواحة

يقول لا إله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وطاف عليه السلام بالبيت وهو على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط اظهارا للقوة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه وكشف عضده اليمنى شأن الفتوة وفعل مثله المسلمون وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه

﴿ زواج ميمونة ﴾

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن العباس وهي آخر نسائه زواجا ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف (١) ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحا مسرورا بما حباه الله به

(١) موضع قرب التنعيم

من تصديق رؤياه

﴿ السنة الثامنة ﴾

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثى الى بني الملوّح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (١) فسار القوم حتى اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء وكان خصما لدوداً للمسلمين فأسروه فقال لهم ماجئت الا للاسلام فقالوا له ان تكن مسلما لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بنى الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريخ الى القوم فجاءهم مالا قبل لهم به ولكن مَنّ الله على المسلمين فأرسل سيلا شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرون على ردها

﴿ سرية ﴾

ولما رجع غالب الى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام

---

(١) موضع بين عسفان وقديد

فى مائتى رجل ليقتص من بنى مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى إذا كانوا قريبا من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله وحده لاشريك له وان تطيعونى ولاتخالفوا لى أمراً فانه لا رأى لمن لايطاع) ثم آخى بين الجند فقال يافلان أنت وفلان ويافلان أنت وفلان لايفارق أحد منكم زميله وأياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدرى فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة

سرية

(وفى) ربيع الأول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من أرض الشام فى خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم الا رئيسهم كعب بن عمير فانه تحاوابى بالخبر الى رسول الله

فشق عليه وأراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه أنهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

غزوة مؤتة

جهز عليه السلام فى جمادى الاولى جيشا للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الازدى رسوله الى أمير بصرى وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم ان أصيب فالامير جعفر ابن أبى طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (أغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا بصيراً فانيا ولا تقطعوا اشجراً ولا تهدموا بناء) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا مؤتة (١) مقتل الحارث بن عمير وهناك وجدوا الروم مجمعين لهم جمعا عظيما منهم ومن العرب المتنصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون

---

(١) قرية قريبة من الكرك وهى مشارف الشام

على الحرب فقال عبد الله بن رواحة يا قوم والله ان الذي تكرهون هو ما خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ما نقاتل الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانما هي احدى الحسنيين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه حتى استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وهو يقول

ياحبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة انسابها
عليّ اذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يانفس لتنزلنه * طائعة أو لا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالى أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة * هل أنت الا نطفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعمعة ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى

استشهد فهمّ بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم عقبة ابن عامر ياقوم يقتل الانسان مقبلا خير من أن يقتل مدبراً فتراجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد وبهمته ومهارته الحربيــة حمى هــذا الجيش من الضياع اذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفاً فانه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديداً وفي غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقــدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسر ميمنة فظن الروم أن المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع الى الوراء حتى انحاز الى مؤته ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان لان الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروهم الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك انقطع القتال وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا رسول الله تذرفان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم

وجاءه رجل فقال يارسول الله ان نساء جعفر يبكين فأمره ان ينهاهن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتهن فلم يطعن فأمره فذهب ثانيا ثم جاء فقال والله لقد غلبننا فقال له عليه السلام أحث فى أفواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يافرّار فقال عليه السلام بل هم الكرّار. ظن المقيمون بالمدينة ان انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم ان ذلك من مكايد الحرب واثنى على خالد في مهارته

﴿ سرية ﴾

وفى جمادى الآخرة بلغه عليه السلام أن جمعا من قضاعة يتجمعون فى ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص فى ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبى عبيدة بن الجراح فى مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقوا عمراً قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش ايقاد نار فمنعهم عمرو فانكر عليه عمر

ابن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيسا لمعرفته بالحرب أكثر منا فلا تعصه فامتثل ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الاعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبينما هم فى الطريق أدركت عمرو ابن العاص جنابة فى ليلة باردة فلما أصبح قال ان أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هى عادته فأخبروه بما نقموه من عمرو بن العاص من نهيهم عن ايقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنبا فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعتهم من ايقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيتهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصليت جنبا لان الله يقول (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) وان أنا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثنى على عمرو خيراً

﴿ سرية ﴾

وفى رجب أرسل عليه السلام أباعبيدة عامر بن الجراح فى ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التى تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هذا الجيش جرابا من التمر فساروا حتى اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فني زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمر يبلونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان فى القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر فى كل يوم جزور وفى اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة لان قيسا كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف أبو عبيدة أن لا يفي له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعداً يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله ولما يئسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس بن سعد لأبيه كنت فى الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم

جاءوا قال انحر قال نهيت

﴿ غزوة الفتح الاعظم ﴾

اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذل العرب حتى تذل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التي أعطاها قريشا فى الحديبية وهو سيد من وفى ولكن اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت فى عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت فى عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء فى الجاهلية كمنت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سراً بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم وفداً برياسة عمرو

ابن سالم الخزاعى ليخبر رسول الله بمافعل بهم بنو بكر وقريش. فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لأمنعنكم مما امنع نفسى منه. أما قريش فانهم لما رأوا أن ماعملوه نقض للعهود التى أخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وأرادوا مداواة هذا الجرح فارسلوا قائدهم أبا سفيان بن حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد فى المدة فركب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى اذا جاء المدينة نزل على أم المؤمنين أم حبيبة بنته وقد أراد أن يجلس على فراش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عنى أم رغبت بي عنه فقالت ما كان لك أن تجلس على فراش رسول الله وأنت مشرك نجس فقال لقد أصابك بعدى شر ثم خرج من عندها وأتى النبي فى المسجد وعرض عليه ما جاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لافقال عليه السلام فنحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك فقام أبو سفيان ومشى الى أكابر المهاجرين من قريش علهم يساعدونه على مقصده فلم يجد منهم معينا وكلهم قالوا جوارنا فى جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئا

فاتهموه بانه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة فقال له يارسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن غدروا ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد أن يقيم حربا بمكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولاه جل ذكره وقال (اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فقام حاطب بن أبي بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا وكتب كتابا لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فأعلم الله رسوله ذلك فأرسل فى أثرها عليا والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها

كتاب نخذوه منها فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقلوا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتوا به رسول الله فقال عليه السلام يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت حليفا لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال عليه السلام أما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي ذلك أنزل الله في سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم

بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابواء لقيه اثنان كانا من أشد أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبد الله ابن أبي أميـة بن المغيرة شقيق زوجـه أم سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى أن الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضاً وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس ابن عبد المطلب مهاجراً بأهـله وعياله فامره أن يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة. ولما وصل عليه السلام مر الظهران أمر بايقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن

رسول الله فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ماهذه لكانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان وهو يسال عنها ويقول مالى ولها حتى اذا مرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيها رسول الله وأصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فاخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر عليه السلام أن تركز رايته بالحجون (١) وأمر خالد

---

(١) جبل بعلاة مكة

ابن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كدى (١) ودخل هو من أعلاها من كداء ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهذه أعظم منة له واستثنى من ذلك جماعة عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الاذى فاهدر دمهم وان تعلقوا باستار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتد وافترى الكذب على الامين المامون فكان يقول ان محمدا كان يامرني أن أكتب عليم حكيم فاكتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الاسود والحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية وكعب بن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل واحد سوى هؤلاء الا من قاتل (فاما) جيش خالد بن الوليد فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة

(١) كدى كقرى جبل مسفلة مكة على طريق اليمن وكداء كسحاب جبل باعلى مكة

وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة (وأما) جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعا وهو عليه السلام راكب راحلته منحن على الرحل تواضعا لله وشكرا له على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل وأسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلا ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت وطاف سبعاً على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدىء الباطل وما يعيد ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم في أيديهما الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس سقطت

عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلا ويوشك أن تذكر للقارىء اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية

﴿ العفو عند المقدرة ﴾

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر فى نواحيها ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التي يلزم أن يتعلم منها المسلم أن يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام يا معشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فانتم الطلقاء ويرحم الله الامام البوصيري حيث قال

واذا كان القطع والوصل لله تساوي التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه من سواه الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

قام لله فى الامور فارضى الا ه منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينض ح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيرا من الاحكام الاسلامية منها ان لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وأبو قحافة والد الصديق وقد فرح الرسول كثيراً باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة

من قريش كانت تأ ْكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ الى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه ان يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدأ الناس ثم أتى به النبي وقال يارسول الله قد أمنته فبايعه فأعرض عنه عليه السلام مرارا ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام أعرضت عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا أشرت الينا فقال (لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين).

(وأما) عكرمة بن أبي جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد أسلمت قبل الفتح وقد أخذت له أمانا من رسول الله فلحقته وقد أراد أن يركب البحر فقالت جئتك من عند أبر الناس وخيرهم لا تهلك نفسك واني قد استأمنته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائما فرحا به وقال مرحبا بمن جاءنا مهاجراً مسلما ثم أسلم رضي الله

عنه وطلب من رسول الله أن يستغفر له كل عداوة عاداه اياه فاستغفر له وكان رضى الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسلام (وأما) هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرانة (١) جاءه مسلما وقال يارسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قد عفوت عنك. وأما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومى فأجارتهما أم هانئ بنت أبى طالب فأجاز عليه السلام جوارها ولما قابل رسول الله الحارث ابن هشام مسلماً قال له الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان ابن أمية فاختفى وأراد أن يذهب ويلقى نفسه فى البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى وقال يانبى الله ان صفوان سيد

---

(١) موضع بين مكة والطائف وبعضهم يضبطه بسكون العين وفتح الراء مخففة

قومه وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك قد أمنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن فقال اعطنى علامة فأعطاه عمامته فأخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال له فداك أبى وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال صفوان اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم أنك أمنتنى قال صدق قال أمهلنى بالخيار شهرين قال أربعة أشهر ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه (وأما) هند بنت عتبة فاختفت ثم أسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها وقالت له يارسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الىّ أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى أن يُعزوا من أهل خبائك

وفود كعب بن زهير

(وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد

له مجيراً جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها

وقال كل صديق كنت آمله لاألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لاأبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول
انبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وقال فيها مادحا

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته (وأما) وحشى قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه ابنا أبي لهب عتبة ومعتب فاسلما وفرح بهما عليه السلام

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلا قال

كان والله براً صغيراً براً كبيراً ثم أسلم بعد ذلك

﴿ بيعة النساء ﴾

هـذا ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكن يبايعن على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول فى معروف (ثم) أمر عليـه السلام بلالا أن يؤذن على ظهر الـكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت الـكريم فلا عجب ان اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده على هـذه النعمة الـكبرى والنصر العظيم

وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما يقصر فيها الصلاة وولى عليها عتاب بن أسـيد وجعـل رزقـه كل يوم درهما فـكان عتـاب رضى الله عنـه يقول لا أشـبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم

﴿ هدم العزى ﴾

(وفى الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد

ابن الوليد فى ثلاثين فارسا لهدم هيكل العزى وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلها يبطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها

هدم سواع

(وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب اليه وهدمه

هدم مناة

(وبعث) سعد بن زيد الأشهلي فى عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمشلل وهو جبل على البحر يهبط منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

غزوة حنين

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للاسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجا. أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل

أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعاً فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور بأصالة الرأي وشدة البأس فى الحرب ولتقدم سنه لم يكن له فى هذه الحرب الا الرأي ثم ان مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شئ ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه أن هوازن وثقيفاً يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة

حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج فى الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وعقد الالوية فاعطى لواء المهاجرين لعلى بن أبى طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الاخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر . هذا وقد أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئا فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستتراً فى شعاب الوادى ومضايقة وقابلهم بنبل كانه الجراد فلووا أعنة خيلهم متقهقرين ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم فى الهزيمة لما لحقهم من الدهشة أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته فى ميدان القتال وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتّب بن أبى لهب وكان العباس اخذا بلجام البغلة وأبو سفيان آخذا بالركاب وكان عليه السلام

ينادي الىّ أيها الناس ولا يلوي عليه أحد وضاقت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبوسفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وقال أخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذاك الرجل كونهم لا يجبرونها أبدا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان العاقبة له غداً فقال سهيل بن عمرو الله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة تعبد حجراً لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفارين مكة كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس وكان

جهوري الصوت ناد بالانصار يا عباس فنادى يامعشر الانصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من فى الوادي وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم أن يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلى سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم يروها فكرّ المسلمون على عدوهم يداً واحدة فانتكث فتل المشركين وتفرقوا فى كل وجه لا يلوون على شئ من الاموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيراً من المحاربين وهرب من هرب وجرح فى هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركى مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين .

(هذا) والذي حصل فى هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من

مشركين واعراب وحديثي عهد باسلام وهؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لأول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكامة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغى أن يكون في الجيش ألا من يقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون مدافعا حقاً عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجعرانة (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس (١)

﴿ سرية ﴾

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الاشعري فى جماعة منهم أبو موسى الاشعري فسار اليهم وبددهم وظفر

---

(١) واد بديار هوازن

بما بقى معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر فى هذه الغزوة وخلف على الغزاة ابن أخيه أبا موسى فرجع ظافراً منصوراً

﴿ غزوة الطائف ﴾

(وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقيـة حياة ثقيف ومن تجمـع معهم من هوازن وجعـل علي مقدمته خالد بن الوليد ومر عليـه السلام بحصن لعوف بن مالك النصرى فأمر بهدمه ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه ان اخرج والا حرقنا عليك بستانك فامتنع الرجل فامر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الاعداء قد تحصنوا به وادخـلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسـلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبـل رميا شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبى بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته فى خـلافة أبيه ومنهم أبو سفيان بن حرب ففقئت عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلا من المسلمين ولما رأى رسول الله ان العدو

متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوما كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فان فيه من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يفني هذا الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا فامر عليه السلام بان ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الاصحاب تحت دبابتين (١) لينقبوا الحصن فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى ارجعوهم فامر عليه السلام ان تقطع اعنابهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعا ذريعا فناداه أهل الحصن ان دعها لله وللرحم فقال ادعها لله وللرحم ثم أمر من ينادي بان كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة عشر رجلاً (ولما) رأى عليه السلام ان تمنع ثقيف شديد وان الفتح لم يؤذن فيه

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها

استشار نوفل بن معاوية الديلي فى الذهاب أو المقام فقال يا رسول الله ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال (اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين)

﴿ تقسيم السبي ﴾

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه وخمسه وأعطي منه شيئاً كثيراً لأناس ضعف اسلامهم يتألفهم بذلك وأعطى أناسا لم يسلموا ليحببهم فى الاسلام ومن الاولين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابناه معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لأنت كريم فى السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فاعطاه مثلها ثم استزاده فأعطاه مثلها وقال يا حكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باسراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)

فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه . وأعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعما وشاء كان رآه يرمقه فقال له هل يعجبك هـذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ما طابت بمثل هذا نفس أحد وكان ذلك سبب اسلامه وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهـذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظمي فان كثيرين ممن أعطوا فى هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا فى قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من اجلاء المسلمين وأعظمهم نفعاً كصفوان بن أمية ومعاوية بن أبى سفيان والحارث بن هشام وغيرهم (ثم) أمر عليه السلام زيد بن ثابت فأحصى ما بقي من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع اليه الاعراب وصاروا

يقولون له اقسم علينا حتى ألجؤوه الى شجرة فخطفت رداءه فقال (ردوا ردائى أيها الناس فوالله ان كان لى شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولاجبانا ولا كدوداً) ثم قام الى بعيره وأخذ وبرة من سنامه وقال (أيها الناس والله مالى من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فادوا الخياط والمخيط فان الغلول (١) يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خُلسة يرده ولو كان زهيداً ثم شرع يقسم فأصاب الراجل أربعة من الابل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ماأريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه وقال (ويحك من يعدل اذا لم أعدل) فلم يؤده غضبه أن ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على أن نصح وحذر وقال له عمر وخالد بن الوليد دعنا يارسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله أن يكون يصلى فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى

---

(١) الاختلاس من الغنيمة

قلبه فقال عليه السلام اني لم أومر أن أنقب عن قلوب
الناس ولا أشق عن بطونهم (ولما) أعطى رسول الله ما أعطى
من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب
بعضهم حتى قالوا ان هذا لهو العجب يعطى قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه ذلك فأمر بجمعهم وليس معهم
غيرهم فلما اجتمعوا قال يا معشر الانصار ما مقالة بلغتنى عنكم
ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة(١) فأغناكم الله بى وأعداء
فألف الله بين قلوبكم بى ان قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة
واني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أغضبتم يامعشر الانصار فى
أنفسكم لشىء قليل من الدنيا ألفت به قوما ليسلموا ووكلتكم
الى اسلامكم الثابت الذي لا يزلزل ألا ترضون يامعشر الانصار
أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى
رحلكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من
الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت
شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار) فبكى القوم

(١) جمع عائل وهو الفقير

حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

﴿ وفود هوازن ﴾

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه عليه السلام وفد هوازن برأسهم زهير بن صرد وقالوا يارسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله . وقال زهيران فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ثم قال أبياتا يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله فى كرم فانك المرء نرجوه وننتظرُ
امنن على نسوة قد كنت ترضعها اذفوك مملوءة من محضها الدررُ
انا لنشكر للنعماء ان كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخرُ
انا نؤمل عفوا منك نلبسه هدى البرية أن تعفو وتنتصرُ
فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشتهرُ

فقال عليه السلام ان أحب الحديث الىّ أصدقه فاختاروا احدى

الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت انتظرتكم حتي ظننت انكم لاتقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولانتكلم في شاة ولابعير فقال عليه السلام أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد أن تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم فى الدين ففعلوا فقال عليه السلام لاصحابه (أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين وانى قد رأيت ان أرد عليهم سبيهم فمن أحب ان يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول مايفيء الله علينا فليفعل فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضا وأمر عليه السلام بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية فقال له الوفد أولئك ساداتنا فقال عليه السلام انما أريد بهم

الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال اخبروه أنه ان جاءنى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكا نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله وأهله واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن

عمرة الجعرانة

(ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت اقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر عليه السلام بالرحيل فصار الجيش آمنا مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وأفقد سراة أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلا تمكنه الحرب الا ساقته ولم تترك لها بعيراً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان أعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع

ولذلك يمكننا أن نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش الى اشهار السلاح ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة

سرية

ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد فى أربعمائة ليدعوا صداء (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال يا رسول الله انى جئتك وافداً عمن ورائى فاردد الجيش وأنا لك بقومى فأمر عليه السلام برد الجيش

وفود صداء

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلا منهم فنزلوا ضيوفا على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة فى حجة الوداع

﴿ سرية ﴾

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العـدوي الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صـدقات أموالهـم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء مافرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن فى خمسين فارسا من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحدعشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا وتوجه بالـكل الى المدينـة فامر عليـه السلام بجعلهم فى دار رملة بنت الحارث

﴿ وفود تميم ﴾

فجاء في أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر وعمرو بن الاهتم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يا محمـد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السـلام وقد تأذي من صياحهم وفيهـم نزل في أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينـادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لـكان

خيراً لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الاهتم الزبرقان بن بدر فقال انه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته فقال الزبرقان حسدني يارسول الله لشرفى وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فرؤى الغضب فى وجه رسول الله لاختلاف قولى عمرو فقال يارسول الله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال عليه السلام (ان من البيان لسحراً) ثم أسلم القوم فرد النبي عليه السلام عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون فى الدين

﴿ سرية ﴾

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبى معيط لاخذ

صدقات بنى المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلا متقلدين سلاحهم احتفالا بقـدومه ومعهم ابل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة فى الجاهلية فرجع مسرعا الى المدينة وأخبر الرسول ان القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فارسل اليهم خالد بن الوليد لاكتشاف الخبر فسار اليهم فى عسكره خفية حتي اذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم الا طاعة فرجع وأخبر الرسول فأرسل عليـه السلام لهم غير الوليد لأخـذ الصدقات وفى الوليـد نزل فى أوائل الحجرات (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

سرية

ثم بلغ رسول الله أن جمعاً من الحبشة رآهم أهل جدة فى مراكبهم يريدون الاغارة عليها فأرسل لهم علقمة بن مجزز فى ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ونزل فى المراكب ليدركهم وكان الاحباش متحصنين فى جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين

يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فأوقد لهم في الطريق ناراً وقال لهم ألستم مأمورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت عليكم الا ما تواثبتم في هذه النار فقال بعضهم ما أسلمنا الا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحا فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

السنة التاسعة

﴿ سرية ﴾

في ربيع الاول أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في خمسين فارسا لهدم الفِلْس (صنم لطيء) فسار اليه وهدمه وأحرقه ولما حارب عبّاده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفّانة بنت حاتم طيء ولما رجع علي الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمنّ عليها فأجابها لانه كان من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها

(شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سببا لردها عليه) وكانت هذه المعاملة من رسول الله سببا فى اسلام أخيها عدي ابن حاتم الطائى الذي كان فر الى الشام عند ما رأى الرايات الاسلامية قاصدة بلاده . وكان من حديث مجيئه ان أخته توجهت اليه بالشام وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ماترين فى أمر هذا الرجل فقالت أرى أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضل وان يكن ملكا فأنت أنت فقال والله هذا هو الرأي

﴿ وفود عدي بن حاتم ﴾

فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول الله فقال عليه السلام من الرجل قال عدى بن حاتم فأخذه الى بيته وبينما هما يمشيان إذ لقيت رسول الله امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقال عدى والله ماهو بملك ثم مضي رسول الله حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من جلد

محشوة ليفا فقدمها الى عديّ وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه السلام وأعطاها له وجلس هو على الارض ثم قال ياعديّ أسلم تسلم قالها ثلاثافقال عدى اني على دين (وكان نصرانيا) فقال له عليه السلام أناأعلم بدينك منك فقال عدي أأنت أعلم بديني مني قال نعم ثم عدد له أشياء كان يفعلها اتباعا لقواعد العرب وليست من دين المسيح فى شيء كأخذه المرباع وهو ربع الغنائم ثم قال ياعدي انما يمنعك من الدخول فى الدين ماترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لاقدرة لهم وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قال لم أرها وقدسمعت بها قال فوالله ليتمن هذا الامر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم فاسلم عدي رضى الله

عنه وعاش حتى رأى كل ذلك

غزوة تبوك

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم فأمر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج في غزوة الا ورّى بغيرها ليعمى الاخبار على العدو الا في هذه الغزوة فانه أخبر بتقصده لبعد الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين فأنفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير باحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا فقال عليه السلام اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام هل أبقيت لأهلك شيئاً فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء العباس وطلحة

بمال كثير وتصدق عاصم بن عديّ بسبعين وسقاً من تمر
وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن وجاءه عليه
السلام سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه أن يحملهم
فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع
حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز العباس
اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم
رسول الله وهم ثلاثون ألفا وولى على المدينة محمد بن مسلمة وعلى
أهله علي بن أبي طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم
عبد الله بن أبى وقال يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر
والبلد البعيد يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله
لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين في الحبال واجتمع جماعة منهم
فقالوا في حق رسول الله وأصحابه ما يريدون من الإرجاف فبلغه
ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا انما كنا
نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون
عن الخروج فقالوا يارسول الله ائذن لنا ولا تفتنّا لانا لا نأمن
نساء بنى الاصفر وجاء اليه المعذّرون من الاعراب وهم أصحاب

الاعذار من ضعف أوقلة ليؤذن لهم فأذن لهم وكذلك استأذن
كثير من المنافقين فاذن لهم وقد عتب الله عليه فى ذلك الاذن بقوله
فى سورة براءة (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين
صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال فى حقهم (انما يستأذنك الذين
لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم
يترددون) ثم كذبهم الله فى عذرهم فقال (ولو أرادوا الخروج
لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا
مع القاعدين) ثم لكيلا يأسى المسلمون على قعود المنافقين
عنهم قال جل ذكره (لوخرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا
ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم
بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لايتهمون فى اسلامهم
منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وأبو
خيثمة ولما خلف عليه السلام عليا قال المنافقون قد استثقله
فتركه فأسرع الى رسول الله وشكا له ماسمع فقال عليه السلام
(أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى) ثم سار
عليه السلام بالجيش واعطى لواءه الاعظم أبا بكر الصديق

وفى اعطـاء اللواء لابي بكر فى آخر غزوة للرسول وتخليف
علىّ على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق عليـه
السلام الرايات فاعطى الزبير راية المهاجرين وأسيدبن حضير
راية الاوس والحباب بن المنذر راية الخزرج (ولما) مر الجيش
بالحِجر وهى ديار ثمود قال عليه السلام لاصحابه (لا تدخلوا
ديار الذين ظلموا الا وأنتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان
مستعملا على حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلى
بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت أرضا لا عمـار ية فيها
قال الرسول لمعاذ بن جبل (يوشك ان طالت بك حياة أن
ترى ما هنا ملئ بساتين) وقد كان ولما استراح الجيش لحقه
أبو خيثمة وكان من خـبر مجيئه ان دخل على أهله في يوم حار
فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما في بستان قد رشت كل
منهما عريشتها وبردت فيهاماء وهيأت طعاما وكان يوما شديد
الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله فى الحر وأبو خيثمة فى
ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ماهذا بالنصف ثم قال والله
لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيآ لى زاد

ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

وفود صاحب أيلة

هذا ولم ير عليه السلام بتبوك جيشاً كما كان قد سمع فأقام هناك أياما جاءه في أثنائها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جزباء (١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتابا هذه صورته

كتاب صاحب أيلة

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن

(١) قرية فى جنوب الشام (٢) مدينة تلقاء السراة

يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر)

﴿ كتاب أهل أذرح وجرباء ﴾

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتابا صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم (ثم ان) الرسول استشار أصحابه فى مجاوزة تبوك الى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمران كنت أمرت بالسير فسر فقال عليه السلام لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا فى هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقفول فرجع الجيش الى المدينة

﴿ مسجد الضرار ﴾

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد

أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلى لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم

حديث الثلاثة الذين خلفوا

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية الاوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ماخلفك فقال يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت ان سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخط علىّ فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب على فيه

اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر فقال عليه السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وقال صاحباه مثل قوله فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية فى خدمة زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجا يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال أبشر يا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك فقال من عندك يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة لله ولرسوله فقال عليه السلام أمسك عليك بعض مالك فهو خيرلك ثم قرأ عليه السلام الآيات التى فيها توبته هو وصاحباه فى سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى

إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

﴿ وفود ثقيف ﴾

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود الثقفى حتي أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم فخرج الى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم لانه كان فيهم محببا مطاعا فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلا منهم يكلمه وطلبوا من عبد ياليل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فبعثوا معه خمسة من أشرافهم فخرجوا متوجهين الى

المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة فى ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون فى رحالهم أصغرهم سنا عثمان بن أبى العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن واذا رآه نائما استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين.

﴿ كتاب أهل الطائف ﴾

ثم كتب لهم كتابا من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين أن عِضاهَ وجّ وصيده حرام لا يُعْضَدُ شجره ومن وُجِدَ يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضى بذلك عليه السلام ولما خرجوا

من عنده قال لهم رئيسهم انا أعلمكم بثقيف اكتموا عنهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم ان محمداً طلب أموراً عظيمة أبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وان نترك الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجلا فظاغليظا قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا أموراً شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم اصلحوا اسلاحكم ورمّوا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب فى قلوبهم فقالوا والله مالنا بحر به من طاقة أرجعوا اليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كتمتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا

﴿ هدم اللات ﴾

ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف ارسل أباسفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض

﴿ حج أبى بكر ﴾

وفى أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينه ومعه الهدى عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة براءة فأرسل بها عليا ليبلغها الناس فى يوم الحج الاكبر وقال لا يبلغ عنى الا رجل منى فلحق أبا بكر فى الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ أو أتلو براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر قرأ عليهم عليّ ثلاث عشرة آية من أول سورة براءة تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وامهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها فى الارض كيف شاؤا واتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم الى مدتهم ثم نادى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. وكان على يصلى فى هذا السفر وراء أبى بكر رضى الله عنهما

﴿ وفاة ابن أُبيّ ﴾

وفى ذي القعدة مات عبد الله بن أُبىّ وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وانما فعل ذلك تطييباً لقلب ولده عبد الله بن عبد الله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أُبي فيهم وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله ورسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه فى سورة براءة (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)

﴿ وفاة أم كلثوم ﴾

وفى هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضى الله عنهما

﴿ السنة العاشرة ﴾

(سرية)

فى ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد فى جمع لبني عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره أن يدعوهم

الى الاسلام ثلاث مرات فان أبوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركبان فى كل وجه يدعون الى الاسلام ويقولون أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فى دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه أن يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين

﴿ سرية ﴾

(وفى) رمضان أرسل عليه السلام علياً فى جمع الى بنى مذحج (قبيلة يمانية) وعممه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم الى قول لا إله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولأن يهدي الله بك رجلا واحداً خيرلك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى اليهم لقي جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا

عدوهم فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأجابوا وبايعه رؤساؤهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

﴿ بعث العمال على اليمن ﴾

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالا من قبله فبعث معاذ بن جبل على الكورة العليا من جهة عدن(١) وبعث أبا موسى الاشعري على الكورة السفلى ووصاهما عليه السلام بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فان أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك

(١) جبل بعلاة مكة

بذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب) وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله أما أبو موسى فقدم على الرسول عليه السلام فى حجة الوداع

﴿ حجة الوداع ﴾

وفى السنة العاشرة حج عليه السلام بالناس حجة ودع فيها المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وولى على المدينة ابادُجانة الانصارى وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين الفا واحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبى فقال (لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك)ولم يزل عليه السلام سائراً حتى دخل مكة ضحى من الثّنية العليا وهى ثنية كَداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشريفا وتعظيماومهابة وبرًّا ثم طاف بالبيت سبعا واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين عند مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على راحلته وكان اذا صعدالصفا

يقول لا إله الا الله الله أكبر لا إله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفى الثامن من ذى الحجة توجه الى منى فبات بها

﴿ خطبة الوداع ﴾

وفى التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التى بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاديَ له وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فانى لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع

وان أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهليـة موضوعـة وأول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (والعمد) قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية (أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولـكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أيها الناس) ان النسيء (١)

---

(١) كانت العرب تستعمل فى حسابها الاشهر الهلالية وكانت الاعمال التى كلفوا بها من عهد ابراهيم واسماعيل كالحج وتحريم الاشهر الحرم مرتبة بهذه الشهور ولما رأوا أن سيرهم على هذه القاعدة مما يضر بمصالحهم التجارية اذ قد يجئ الحج فى فصل لا يناسبه وقد تحل الاشهر الحرم في فصل لا تناسب تجارتهم فيه عمدوا الى السنة الهلالية فأضافوا على آخرها أياما سموها أيام النسئ لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتا فى الفصل الذى يناسبه وكانوا يجمعون هذه الايام حتى تستكمل شهرا فيضيفونها فنتج من ذلك ان بعض السنين تكون اثنى عشر شهرا و بعضها ثلاثة عشر فتارة يجئ الحج فى شهر ذى الحجة وتارة في ذى القعدة وهكذا حتى يدور الدور

زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاماليواطئوا عدة ماحرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن(١) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً

فيأتي في ذى الحجة ثانياً فلما كانت حجة الوداع أمر عليه السلام بابطال هذه القاعدة كما أمره الله والسير على الاشهر الهلالية وكان الدور قد دار وجاء الحج في شهره ولذلك قال (ان الزمان قد استدار الخ)

(١) العضل هو الحبس والتضييق

أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس إنما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمي الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعي الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله) وفى هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله فى سورة المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت

لكم الاسلام دينا) فلا غرابة ان اتخذه المسلمون عيداً ويوما سعيداً يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى (ثم) انه عليه السلام أدى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل الى المدينة . ولما رآها كبر ثلاثا وقال (لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده) .

﴿ الوفود ﴾

فى هذه السنة والتى قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجا ولما فى أخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التى يحتاج ذو الادب أن يعرفها رأينا أن نذكر لك منها ما يزيدك يقينا وينير بصيرتك فنقول

﴿ وفود نجران ﴾

(ومن) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا

دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاءوا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا فى المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولداً قالوا فمن مثل عيسى خلق من غير أب فأنزل الله فى ذلك فى سورة آل عمران (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم عليه السلام لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي ألف حلة في صفر والف حلة فى رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أمينا فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان

لذلك يسمى أمين هذه الامة

وفود ضمام بن ثعلبة

(ومن الوفود) ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين أصحابه متكئاً جاءه رجل من أهل البادية ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول فأناخ جمله فى المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال انى سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجد (١) على فى نفسك فقال سل ما بدالك فقال انشدك بالله آلله أرسلك الى الناس كلهم فقال نعم فقال انشدك بالله آلله أمرك ان نصلى خمس صلوات فى اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال انشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال انشدك بالله آلله أمرك ان نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهراً قال اللهم نعم قال انشدك بالله آلله أمرك ان يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وانا ضمام ابن ثعلبة ولما ولى قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى

---

(١) أى لا تغضب

قومه ودعاهم الى الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم

وفود عبد القيس

(ومن) الوفود عبد القيس وكان من خبرهم أن الرسول كان جالسا بين أصحابه يوما فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فلما أتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم رموا بانفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هونا حتى سلم على رسول الله وكان رجلا دميما ففطن لنظر الرسول الى دمامته فقال يارسول الله أنه لا يستقي في مسوك (جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وقد قال عليه السلام لهذا الوفد (مرحبا بالقوم غير

خزاياولا ندامى) فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هـذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل اليـك الا فى شهر حرام فمرنا بأمر فصـل فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن الدبّاء (٢) والحنتم (٣) والنقير (٤) والمزفت (٥) والمراد بذلك ماينبذ فى هذه الاوانى فقال الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخِمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوتنا فرخص لنا فى مثل هذه وأشار الى يده فأومأ عليه السلام بكفيه وقال يا أشج ان رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف

---

(١) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسى وهى ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز أرض نجد

(٢) القرع (٣) هو جرار مدهونة بدهان أخضر (٤) هو أصل النخلة ينقر (٥) ما طلي بالزفت

وانما خص عليه السلام نهيهم عما ذكر لكثرة الاشربة بينهم

وفود بني حنيفة

(ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة يقول ان جعل لى الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال إن سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها وانى لأراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى في منامه أن في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحى الله ان انفخهما فنفخهما فطارا فأولهما عليه السلام كذابين يخرجان من بعده فكان مسيلمة أحدهما والثانى الاسود العنسى صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة

وفود طيء

(ومن) الوفود وفد طيء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال عليه السلام في حقه ما ذكر لى رجل من العرب الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل وسماه عليه السلام زيد الخير

وفود كندة

(ومنهم) وفد كندة وفيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا فى قومه

ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا اخبرنا عما خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والمتكهن فى النار ثم قال ان الله بعثنى بالحق وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا اسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) ثم سكت وسكن ودموعه تجرى على لحيته فقالوا انا نراك تبكى أفمن مخافة من أرسلك تبكى قال ان خشيتى منه ابكتنى بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام ألم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير فى أعناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه

وفود أزد شنوءة

(ومنهم) وفد ازدشنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الازدى فأسلموا وأمره عليهم وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك

وفود رسول ملوك حمير

(ومنهم) وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعافر وهمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم

كتاب ملوك حمير

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث ابن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فانى أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبانا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب

على المؤمنين من الصدقة أما بعـد فان محمداً النبي أرسل الى زرعة بن سيف ذي يزن اذا أتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضياً أما بعد فان محمداً يشهد أن لا إله الا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثني انك قد أسلمت من أول حمـير وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيراً ولا تخونوا ولا تخذلوا فان رسول الله هو متولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته انما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خـيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

وفود همدان

(ومنها) وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان شاعراً مجيـداً فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك عليهـم مقطعات

من الحبرات اليمنية والعمائم العدنية وقد أنشد مالك لرسول الله عليه السلام

حلفت برب الراقصات الى منى
صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق
رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها
أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره عليه السلام على من أسلم من قومه وقد قال الرسول فى حق همدان نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد

وفود تجيب

(ومنها) وفد تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة عشر رجلا منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم عليه السلام وأكرم مثواهم وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام (ردوها

فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يارسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يارسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى بيد الله فمن أراد به خيراً شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا اياه وما رد علينا. ثم جاؤا الى رسول الله فدعوه فأجازهم بأفضل ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه فى رحالنا وهو أحدثنا سناً قال فارسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام وقال يارسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لى ويرحمني ويجعل غناي فى قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه

﴿ وفود ثعلبة ﴾

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم

مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياما وحين ارادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة

﴿ وفود بنى سعد بن هذيم ﴾

(ومنها) وفد بنى سعد بن هذيم من قضاعة قال النعمان منهم قدمت على رسول الله وافداً فى نفر من قومى وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان إما داخل فى الاسلام راغب فيه وإما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلى على جنازة فى المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم وقلنا حتى يصلى رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من

بنى سعد بن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يارسول الله ظننا ان ذلك لايجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام (أينما أسلمتم فانتم مسلمون) قال فاسلمنا وبايعنا رسول الله بايدينا ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام فى طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ثم أجازهم وانصرفوا

وفود بنى فزارة

ومنها وفد بنى فزارة وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال عليه السلام سبحان

الله ويلك هذا انا أشفع الى ربي فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تئط (١) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث (أي من ثقل الحمل) ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة

﴿ وفود بنى أسد ﴾

(ومنها) وفد بنى أسد وفيهم ضِرار بن الازور وطليحة ابن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يارسول الله أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث الينا فانزل الله فى ذلك (يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا علىّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون فى الجاهلية من العيافة (٢) والكهانة (٣) وضرب الحصباء فنهاهم

(١) أى تصوت

(٢) هى زجر الطير والتخرص على الغيب

(٣) هى الاخبار عن الكائنات فى المستقبل

عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم أقاموا أياما يتعلمون الفرائض وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن اجيزوا

« وفود بنى عزرة »

(ومنها) وفد بني عزرة ووفد بني بلىّ ووفد بني مرة ووفد خولان وهي قبيلة باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الامانة وحسن الجوار لمن جاور وأن لا يظلموا أحداً فان الظلم ظلمات يوم القيامة

« وفود بنى محارب »

(ومنها) وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما أعظم منة الله الذي أتى بهؤلاء وكانوا ألد الاعداء مسلمين منقادين

« وفود غسان »

ومنها وفد غسان ووفد سلامان ووفد بني عبس ووفد

النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويجيزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب فى البوادى

﴿ وفاة ابراهيم بن النبي عليه السلام ﴾

(وفى) هذه السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكى ان ذلك كان فى التاسع والعشرين من شهر شوّال سنة ١٠ من الهجرة ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ من الميلاد

« السنة الحادية عشر »

(سرية)

لأربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشا برياسة أسامة بن زيد الى أُبنَى (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل

(١) محل قريب من مكة

فقد وليتك هـذا الجيش فأغر صباحا على أهـل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الادلاء وقدم العيون والطلائع معك وكان مع أسامة فى هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لأسامة اللواء وقال له (أغز باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله) وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال (أما بعـد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأمـيري أسامة ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة لقد طعنتم فى تأميري أباه من قبله وايم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها وان كان لمن أحب الناس الىّ وانهما لمظِنة لـكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم) ولم يتم لهذا الجيش الخروج فى عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لان المرض بدأه فاختاره الله للرفيق الاعلى وسيرى القارئ ان شاء الله خروج هـذا الجيش متمماً

فى كتابنا (اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء)

(مرض الرسول صلى الله عليه وسلم)

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما اؤتمن عليه وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الأعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال (ان عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعنده) فبكى أبو بكر وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عليه السلام (ان أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة فى بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوما كان في خلالها ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض فى بيت عائشة الصديقية فأذن له ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى اعهد الى الناس فأجلس فى مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن

وكان هـذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التى كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه

« صلاة أبى بكر بالناس »

ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له فى حياته ولما رأت الانصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج عليـه السلام متوكئا على على والفضل وتقدم العباس أمامهـم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس فى أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليـه ثم قال (أيها الناس بلغني انـكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلى فيمن بعث الله فأخلد فيكم الا اني لاحق بربى وانـكم لاحقون بى فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل

بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم)، وأوصيكم بالانصار خيراً فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم من الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الافمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم الاوانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى الافان موعدكم الحوض الافمن أحب ان يرده على غداً فليكفف يده ولسانه الافيما ينبغى) وبينما المسلمون فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وأبو بكر يصلى بهم اذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله يريد أن يخرج الى الصلاة وهم المسلمون ان يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله فأشار اليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر

(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم دنياه ولحق بمولاه وكان ذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع أول سنة ١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٢) فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية كاملة وثلاثة أيام واحدى وستين شمسية وأربعة وثمانين يوما وكان أبو بكر غائبا بالسنح وهي منازل بنى الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لأرجوا أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حياً وميتاً بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ألا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت)

وتلا قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) قال عمر فكأنى لم أتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام فى بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى المسلمون من اقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذي يغسله علي بن أبى طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته ودخل الناس عليه ارسالا متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم أحد ثم حفر له لحد فى حجرة عائشة حيث توفى وأنزله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الارض قدر شبر

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم شئ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. تنزيل من حكيم حميد وترك

أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتممون فتح البلاد ويظهرون فى الدنيا شمس الدين الاسلامى القويم حتى يتمم الله كلمته ويحق وعده وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمي والنعمة الكبرى

« شمائله عليه السلام »

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والآخرة مالم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد أن نأتى لك في هذا الباب «١» بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه لتكون لك نموذجا تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة والسلام فتستحق الحمد في الدنيا والذخر فى الأخرى. فاعلم ارشدنى الله وأياك وهدانا للصراط السوى، ان خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان ضروري دنيوي، اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب دينى وهو مايحمد

(١) جل ماذكر فى هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء للقاضى عياض رحمه الله

فاعله ويقرب الى الله زلفى فأما الضروری فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ماتدعوا ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه أما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وأخوانها وهى التى يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الله الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها فاما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه فى حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون «١» ادعج «٢»

---

(١) نير اللون أو حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها

أنجل (١) أشكل (٢) أهدب الاشفار (٣) أبلج (٤) أزج (٥) أقنى (٦) أفلج (٧) مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (٨) ضخم العظام عبل (٩) العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق المسربة (١٠) ربعة القد ليس بالطويل البائن (١١) ولا القصير المتردد (١٢) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افترّ ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رىء كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم «١٣» ولا مكلثم «١٤»

(١) واسع العين مع حسن (٢) فى بياض عينيه حمرة (٣) كثير شعر حروف الاجفان «٤» مضي الوجه مشرقه «٥» دقيق الحاجبين فى طول (٦) مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها (٧) مفرج بين الثنايا والرباعيات (٨) المنكب مجمع رأس العضد والكتف (٩) ضخم «١٠» المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن «١١» مفرط الطول «١٢» المتناهي فى القصر «١٣» المطهم البائن الكثير اللحم «١٤» المكلثم صغير الذقن

متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب مارأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبوهريرة مارأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

«وأما» نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع فان عليه السلام بني الدين على النظافة وقال أنس ما شممت عبيرا قط ولا مسكا ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه السلام مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها . ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى البخاري في

تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه

(وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاد من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وكان عليه السلام اذا قام فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى (وتقلبك فى الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء وكان يعد فى الثريا أحد عشر نجما وجاءت الاخبار أنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال أبو هريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفى صفته عليه السلام أنه

ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معاً واذا مشى مشى تقلعاً كأنما ينحط من صبب

(وأما) فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان عليه السلام من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة مااستحسنته من الالفاظ وما انتهجته من طرق البلاغة ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب

ومنها ما لا يوازي فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الىّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور أوسطها وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم انى أسألك رحمة تهدى بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثى وتصلح بها رغائبي

وتزكى بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتى وتعصمني بها من كل سوء اللهم انى أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت فى بني سعد جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهى الذي مدده الوحى الذي لا يحيط بعلمه بشر (وأما) سرو نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه فانه نخبة بنى هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وقد قدمنا لك فى أول الكتاب ما فيه الكفاية فى هذا المقام

(أما)ماتدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ومنه ما الفضل فى كثرته ومنه ما تختلف الاحوال فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديما تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام قد أخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال عليه السلام (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلىء جوف لنبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان فى أهله لايسألهم

طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وماسقوه شرب وفى صحيح الحديث (أما أنافلا آكل متكئا) والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ماتحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثرمنه والنبى عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبدوكذلك نومه كان قليلا ومع ذلك فقد قال ان عينىّ تنامان ولا ينام قلبي

(وأما) ماالفضل فى كثرته فكالجاه وهو محمود عندالعقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه فى القلوب وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه السلام (وجيها فى الدنيا والآخرة) وكان النبي عليه السلام قد رزق الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهليه وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسهم خفية حتى إذا واجههم اعظموا أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من

الفرق فقال (يامسكينة عليك السكينة) وفى حديث أبى مسعود إن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام (هون عليك فانى لست بملك)

(وأما) عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم.

(وأما) ماتختلف فيه الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه فى أغراضه والا فليس فضيلة فى نفسه فتى كان بهذه الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من قصده وأمله مصرفه فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وأنفقه فى سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولم يقف

به على جدد السلامة بل أوقعه فى وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة فالتمدح بالمال ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه فى متصرفاته ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشىء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغني به غيره وقوي به المسلمين وقال (ما يسرني أن لى أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا أرصده لدينى) وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله واقتصر فى نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ماوجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخصوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فانت ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة

المال بالزهد فيه وانفاقه على مستحقيه

(وأما) الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهي المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال فى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقال أنس كان عليه السلام أحسن الناس خلقا وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لاخوانه من الانبياء جبلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله

(فأصل) فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل

الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولامدارسة ولامطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمى لا يعرف شيئاً من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى

(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

(وأما) الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرهه فمما أدب الله به نبيه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد سأل عليه السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور) وقال (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) وقال (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هذه الاوصاف فما من حليم الا عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما قالت عائشة رضى الله عنها ما خير عليه السلام فى أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ولما فعل به المشركون ما فعلوا فى أحد وطلب منه أن يدعو عليهم

قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك فى هذا الباب ما فعله مع مشركى قريش الذين آذوه واستهزؤا به وأخرجوه من دياره هو وأصحابه ثم قاتلوه وحرضوا عليه غيرهم من مشركي العرب حتى تمالأ عليه جمعهم ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابى بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمل لى على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابى ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط الا أن يجاهد

في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته

(وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازي فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يباري وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضى الله عنه ما سئل عليه السلام عن شئ فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير وأجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقالت خديجة في صفته عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهدا فى هذا الباب مافعله مع هوازن من رد السبي اليها ومافعله يوم تقسيم السبي من اعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الاعطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفا فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من الانصار يا رسول الله أنفق ولا تخف

من ذي العرش اقلالا فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ما ذكرناه

(ومنها) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح. ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله في حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال أنس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر

على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والاغضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدرى كان عليه السلام أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لايشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد مايكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول مابال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وقالت رضي الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

(وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فما انتشرت به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه كان عليه السلام أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفرهم

ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحـد منهم بشره ولا خلقـه ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحداً أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقـه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الخلق سواء بهذا وصفه ابن أبى هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافـل عما لا يشتهى ولا يوئيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر) وقال تعالى (ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهـم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى

أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما التقم أحد اذن النبي يحادثه فنحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم يرقط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهى أو قيام وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب

(وأما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها فى قوله (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) روى أن اعرابيا جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال أأحسنت اليك قال الاعرابى لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده

شيئاً ثم قال أأحسنت اليك فقال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ما قلت وفى أنفس أصحابى من ذلك شىء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما فى صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشى جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابى قال ماقال فزدناه فزعم أنه رضى أ كذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لا يبلغنى أحد منكم عن أصحابى شيئاً فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكان يسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا

(وأما) خلقه عليه السلام فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروى عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي عليه السلام ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو مكانه فقال يافتى لقد شققت علىّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك وكان اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة أنها كانت تحب خديجة . وكان عليه السلام يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ووفدعليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم وفي حديث خديجة ابشر فوالله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

(وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك انه خير بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً

عبداً وخرج عليه السلام مرة على أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيعة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . هذا وقد فتحت عليه الارض وأهدى فى حجه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى . وعن أبي هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وأرجح ثم قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم

أخذ السراويل فذهبت لاحمله قال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

(وأما) عدله عليه السلام وامانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادّوه واعداؤه وكان يسمي قبل نبوته الامين وقدقدمناذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة . وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فان من أبلغ حاجة من لايستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه السلام لا ياخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق احداً على احد

(وأما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروءته

وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان اذا جلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداءاً به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير . وقال ابن أبى هالة كان سكوته عليه السلام على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر. وقالت عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثا لو عده العادّ لاحصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحض عليهما ومن مروءته عليه السلام نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(وأما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه

الكفاية وحسبك شاهداً على تقلله من الدنيا وأعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفى عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمدقوتا وقالت عائشة رضى الله عنها ماشبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات وما فى بيتى شىء يأ كله ذو كبد الاشطر شعير فى رف لى وقال انى عرض علي أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لايارب أجوع يوما وأشبع يوما فأماليوم الذي أجوع فيهِ فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيهِ فأحمدك وأثني عليك وقالتعائشة ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو الاالتمر والماءوعن أنس ما أكل عليه السلام على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأىشاة سميطا قط وفى حديث عائشة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه

وسلم فى بيته مسحا تثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة باربع
فلما أصبح قال ما فرشتمولى الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه
بحاله فان وطأته منعتنى الليلة صلاتى وقالت عائشة لم يمتلىء
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى
أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا
يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء
سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به
من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك
فيقول ياعائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل
صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى استحى ان ترفهت
فى معيشتى ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء أحب الىّ
من اللحوق باخوانى واخلائى قالت فما أقام بعد الا أشهرا حتى
توفي صلوات الله عليه وسلامه

(وأما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه

ولذلك قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً
أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت (صوتت) السماء
وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع
جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله تعالى لوددت أني شجرة تعضد وكان عليه السلام
يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما
تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون عبداً شكوراً) وقالت
عائشة رضى الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى تقول لا
يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم وقال عوف بن مالك كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام
يصلي فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف
فسأل ولا مرّ بآية عذاب الا وقف وتعوّذ ثم ركع فمكث بقدر
قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد
وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل

ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وفى وصف ابن أبى هالة كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل أمتى وشوقى الى ربى) فجزاه الله من نبى عن أمته خيراً ورحم الله عبداً تأمل فى هذه الشمائل الكريمة والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم الفزع الاكبر ويرضى الله عنه فنسألك اللهم التوفيق لما فيه الخير بمنك وكرمك ياأرحم الراحمين

معجزاته عليه السلام

اذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد

الـكريم وحميد سيره وبراءة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر فى صحة نبوّته وصدق دعوته وقد كفى هـذا غير واحد فى اسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام فانه قال لـما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم أن ضماداً لما وفد عليه قال له صلى الله عليه وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعد علىّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال والله لقد دلنى على هـذا النبى الامىّ أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخـذ به ولا ينهى عن شئ الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبى وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة　　　لـكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقا لدعوته من المعجزات ما لا يفي به العد فهو أكثر الانبياء آية وأظهرهم برهانا وسنذكر لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبته المحدثون في صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شأنا وأوضحها بيانا وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم) أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة (أولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم . وأوتوا من ذرابة اللسان . ما لم يؤت انسان . ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب . جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب . ويرتجزون به بين الطعن والضرب . ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون

من ذلك بالسحر الحلال . ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل . فيخدعون الا لباب . ويذللون الصعاب . ويذهبون الاحن . ويهيجون الدمن . ويجرئون الجبان . ويصيرون الناقص كاملا . ويتركون النبيه خاملا . منهم البدوى ذو اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم والطبع الجوهرى . والمنزع القوى . ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة . والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة . والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكافة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له فى البلاغة الحجة البالغة . والقوة الدامغة . والقدح الفالج . والمهيع الناهج . لايشكون أن الكلام طوع مرادهم . والبلاغة ملك قيادهم . قد حووا فنونها . واستنبطوا عيونها . ودخلوا من كل باب من أبوابها . وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها . فقالوا فى الخطير والمهين . وتفننوا فى الغث والسمين . وتقاولوا فى القل والكثر . وتساجلوا فى النظم والنثر . فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته .

وفصلت كلماته . وبهرت بلاغته العقول . وظهرت فصاحته على كل مقول . وتضافرا يجازه واعجازه . وتظاهرت حقيقته ومجازه . وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه . وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه . واعتدل مع ايجازه حسن نظمه . وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه . وهم أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا . وأشهر في الخطابة رجالا . وأكثر فى الشعر والسجع ارتجالا . وأوسع فى الغريب واللغة مقالا . بلغتهم التى بها يتحاورون . ومنازعهم التى عنها يتناضلون . صارخا بها فى كل حين . ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ أجمعين (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد التقريع

ويوبخهم أشد التوبيخ ويسفه أحلامهم . ويحط اعلامهم . ويشتت نظامهم . ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم فى كل هذا نا كصون عن معارضته . محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم (ان هذا الا سحر يؤثر . وسحر مستمر . وافك افتراه . وأساطير الاولين) والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا لم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين . وأوتوا اليه مذعنين . وأنت اذا تأملت قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتى هي أحسن

فاذا الذي بينك وبينه عـداوة كأنه ولىّ حميم) وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض المـاء وقضى الامر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين) وقوله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخـذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأشباهها من الآى بل أكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها . وكثرت المقالات فى المستنبطات عنهـا . ثم هو فى سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الـكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الـكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها

ولا معاداة لمعادها (الوجـه الثانى) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاآ عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين والايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منـكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن

لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر فغلبت الروم فارس ودخلت الناس فى الدين أفواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم فى وقت من أقصى بلاد الاندلس غربا الى أقاصى الهند شرقا ومن بلاد الاناضول شمالا الى أقاصي السودان جنوبا وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كذلك فى بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قارىء هذه السيرة وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم كقوله (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) وقوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بالسنتهم وطعنا فى الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه الرابع) ما أنبأ به من أخبار

القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتى به على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه عليه السلام أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وكثيراً ما كان يساله كثير من أهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن مايتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما فى الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولاسقيما من صحفه بعد أن قرعهم ووبخهم بقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه ماتحداهم فيه الله بقوله (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم عدم إجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً

بمـاقدمت أيديهم) فما سمع عن أحـد منهم أنه تمنى ذلك ولو بلسانه مع أنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك مافعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقـد قدمنا ذلك في فصل وفودهم .ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر الروعة التى تلحق قلوب سامعيه والهيبة التى تعـتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه اقبالا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليـه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ومن وجوه اعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى وقتنا

هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمةالبلاغة وفرسانالـكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتى بشئ يؤثر فى معارضـته ولا الف كلمتين فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح . بل المأثور عن كل من رام ذلك القـاؤه في العجز بيديه . والنكوص على عقبيه ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام فى القرآن قال (ان الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلـكم ونبأ مابعدكم وحكم مابينكم لايخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صـدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهـدى من غيره أضـله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحـكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج

فيقوم ولا يزيغ فيستعتب)

(ومن) معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفي

(ومن) معجزاته عليه السلام نبع المـاء من بين أصابعه وتكثيره ببركته وقد روى هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود قال أنس رأيت رسول اللهّصلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في الاناء يده وأمر الناس أن يتوضئوا منه قال فرأيت المـاء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا عن آخرهم فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معـه فضل ماء فأتى بمـاء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل المـاء ينبع من بين أصابعـه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء

يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة . وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لاتتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر عليهم أحد من الناس ماحدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

ومما يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهى تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع فى شيء ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفي رواية ابن اسحق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا قد ملىء

جنانا وقد قدمنا ذلك فى غزوة تبوك . وروى عن البراء وسلمة بن الاكوع تكثير عين الحديبية بدعوته عليه السلام وروى أبو قتادة ان الناس شكوا الى رسول الله العطش فى بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها فى صبنه (ما بين الكسح الى الابط) ثم التقم فمها فالله أعلم أنفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل لى انها كما أخذها منى وكانوا اثنين وسبعين رجلا . ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم فى محال مختلفة بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم روى طلحة أنه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها أنس تحت ابطه فامر بها عليه السلام ففتت وقال فيها ماشاء الله ان يقول . وروى جابر انه عليه السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد

بصق فى العجين والبرمـة وبارك وروى أبو أيوب أنه صنع لرسول الله وأبى بكر طعاما يكفيهما فأطعم منه عليـه السلام مائة وثمـانين رجلا . وروى مثـل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبى بكر وسـلمة بن الاكوع وأبى هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعـين

(ومن) معجزاته عليه السلام قصة حنـين الجذع قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فـكان عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفى رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه به وفى رواية المطلب وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليـه السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لولم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامـة تحزنا على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهـل الصحة ورواة من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبمن

دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب . والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوى العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وبصق على أثر سهم فى وجه أبى قتادة فى يوم ذى قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب الأسنة استسقاء فبعث الى النبي عليه السلام فأخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها يرى أنه قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث على ورمده فى غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عده ورواه ثقات المسلمين الاعلام

(أما) ما منحه الله اياه من اجابة دعواته فروى عن أنس ابن مالك قال قالت أمي أم سليم يارسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادّون

اليوم نحو المائة ودعا لعبدالرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون الفا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها

(ودعا) لمعاوية بالتمكين فى الارض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابة الدعوة فما دعا على أحد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب أن يعز الاسلام به وقال لابى قتادة أفلح وجهك اللهم بارك فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة أكثر من أن تحصى يطلع عليها قارىء سيرتنا هذه

(أما) ما أطلعه الله عليه من علم مالم يكن فما سارت به الركبان فعن حذيفة رضى الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الاحدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذاغاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما

أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ماترك عليه السلام من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً الاقد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته وقد خرج أهل الصحيح والائمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لاتخاف الا الله وأن المدينة ستغزى وبفتح خيبر على يد على فى غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً من ذلك فى هذه السيرة وقدمنا مافى القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الاطالة فى هذا المقام فحسبك ماسمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ مامن الله به على رسولنا من عصمته له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجابه

وقال انصرفوا فقــد عصمنى الله وقد قدمنا حــديث دعثور واراداته قتل النبى عليــه الصلاة والســلام وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيراً ممــا حصل من أبى جهل لمــا أراد بالرسول المكايد فكفاه الله شره وما من الله به عليــه ليلة الهجرة وحديث سراقة فى الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام مكث بين أعداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فمــا تمكن أحد من ايصال أذى اليه صلى الله عليه وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه والحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده ونسأله أن يوفق قارئى هــذه السيرة الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأنصاره



فهرست كتاب نور اليقين . فى سيرة سيد المرسلين

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة


Bibliotheca Alexandrina
04077791